

1

سلسلة دراسات الفكر المهدوي

# جيوبولينيك الدولة الإسلامية المهدوية

محمد علي خليفة

مركز برآثا للدراسات والبحوث

Baratha Center for Studies and Research





جيوپوليتيك الدولة الإسلامية الهدوية |



# جيوبوليتيك الدولة الإسلامية المهدوية

محمد علي خليفة

مركز أبحاث الدراسات والبحوث  
بيروت - بغداد

■ عنوان السلسلة: سلسلة دراسات الفكر المهدوي

■ الناشر: مركز براثا للدراسات والبحوث.

■ اسم الكتاب: جيّوبوليتيك الدولة الإسلاميّة المهدويّة

■ الإشراف العام:

الشيخ جلال الدين علي الصغير

د. محمد محمود مرتضى

■ اسم الكاتب: محمد علي خليفة

■ الاخراج الفني: خالد معماري

■ التدقيق اللغوي: بيانكا ماضيّة

◆ رقم الطبعة: تاريخ الطبعة: ◆ عدد الصفحات:

110 صفحة.

2024 م - 1445 هـ

الأولى.

◆ مكان الطبعة:

بيروت - بغداد

مركز براثا للدراسات والبحوث  
بيروت - بغداد

Baratha Center for Studies and Research

[www.barathacenter.com](http://www.barathacenter.com)

[barathacenter@gmail.com](mailto:barathacenter@gmail.com)

مدير المركز د. محمد مرتضى

☎ 009613821638

# الفهرس

## 9 ..... الفصل الأول الجيوپوليتيك

- 10 ..... أولاً: تعريف الجيوپوليتيك
- 11 ..... ثانياً: نظريات الجيوپوليتيك

## 15 ..... الفصل الثاني تمهيد أولي لصياغة نظرية المحور المركزي

- 16 ..... أولاً: الحركة الجغرافية لأهم الأنبياء والرسالات العالمية
- 17 ..... ثانياً: الأمة الإسلامية

## 45 ..... الفصل الثالث المشروع العالمي وحتمية الجغرافيا

- 46 ..... أولاً: التجربة الأولى الاستعمار الفرنسي والبريطاني
- 48 ..... ثانياً: التجربة الثانية هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية
- 54 ..... ثالثاً: الجغرافيا الاتصالية الوظيفية

## 66 ..... الفصل الرابع جيوپوليتيك الأخلاق: العالمية بحاجة لإنسان عالمي ومجتمع عالمي

- 68 ..... أولاً: محورية الإنسان في صراع الحق والباطل

70 ..... ثانيًا: التضليل الحديث

74 ..... ثالثًا: أهمية الجهاد الأكبر

76 ..... رابعًا: الحرب المعرفية أحدث أدوات الباطل

## 85 ..... الفصل الخامس

### لماذا الحكومة العالمية؟

95 ..... أولًا: وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً

97 ..... ثانيًا: ثنائية ما هو كائن / ما ينبغي أن يكون

101 ..... ثالثًا: المثل الأعلى المطلق

## 105 ..... المصادر والمراجع





## الفصل الأول: الجيوبوليتيك

## ● أولاً: تعريف الجيّوبوليتيك:

الجيّوبوليتيك هو علم دراسة تأثير الأرض-برّها وبحرها ومرتفعاتها وجوفها وثرواتها وموقعها -على السياسة في مقابل مسعى السياسة للاستفادة من هذه المميّزات وفق منظور مستقبلي<sup>(1)</sup>. في معناه البسيط يعني الجيّوبوليتيك: «علم سياسة الأرض»؛ أي دراسة تأثير السلوك السياسيّ في تغيير الأبعاد الجغرافيّة للدولة<sup>(2)</sup>. ويتداخل هذا المفهوم مع مضمون علم الجغرافيا السياسيّة الذي يُعنى بدراسة تأثير الجغرافيا - الخصائص الطبيعيّة والبشريّة - في السياسة. ولدى البعض، فإنّ الجغرافيا السياسيّة تدرس الإمكانيات الجغرافيّة المتاحة للدولة، بينما الجيّوبوليتيك تُعنى بالبحث عن الاحتياجات التي تتطلبها هذه الدولة لتنمو حتّى لو كانت وراء الحدود. وبينما تشغل الجغرافيا السياسيّة نفسها بالواقع؛ تُكرّس الجيّوبوليتيك أهدافها للمستقبل.

يقوم التحليل الجيّوبوليتيكيّ على موضوعين أساسيين:

● الأول: وصف الوضع الجغرافيّ وحقائقه كما تبدو بالارتباط بالقوى السياسيّة المختلفة.

● الثاني: وضع ورسم الإطار المكاني الذي يحتوي على القوى السياسيّة - الدول - المتفاعلة والمتصارعة.

---

1 - Evans, Graham The Penguin Dictionary of international relations. Newnham, Jeffrey. London: Penguin books.(1998).

2 (.Devetak, Richard, George, Jim, Sarah. An introduction to International relations 1946-Percy. V.1977-(Third ed.). P: 816.).

● ثانياً: نظريات الجيوبوليتيك:

يوجد العديد من النظريات الجيوبوليتيكية نذكر منها:

1 - نظرية قلب العالم Heart land Theory

2 - نظرية النطاق الهامشي Rim land Theory

3 - أما النظرية الثالثة، فهي من مؤلف هذا الكتاب، والتي قد لا تتمتع بالمعايير العلمية المطلوبة ولا ندعي كمالها، لكنّها محاولة أولى تقدّم إضافة تخدم موضوعنا الكليّ، وهي تمهيد لنظرية المحور المركزيّ Central Pivot Theory.

1. نظرية قلب العالم (Heart land)<sup>(1)</sup> يعدّ «هارولد ماكندر» صاحب أشهر نظرية استراتيجية عالمية في وقتنا المعاصر، والتي قدّمها ضمن مقاله بعنوان: «المحور الجغرافي للتاريخ» وشرح فيها الأفكار الأساسية لمنطقة قلب العالم، واعتبر فيها أنّ سطح الأرض مكوّن من كتلة يابسة ضخمة تضمّ كلاً من أوروبا وآسيا وأفريقيا وبعض الجزر المعزولة؛ أي تضمّ الأمريكيتين وأستراليا واليابان وبريطانيا، وأطلق على أوروبا وأفريقيا وآسيا اسم «جزيرة العالم».

---

1 - ( Mackinder, H.J.The Geographical Pivot of History. The Geographical Journal, Vol.23, No.4. p:421437-. Mackinder, H.j.Democratic Ideals and Reality, A study in the politics of Reconstruction. National Defense. p:175193-. Charles Kruszewski. The Pivot of History. Foreign Affairs)

أما المنطقة التي أطلق عليها قلب العالم، وهي المنطقة المحورية Pivot Area»، فهي المنطقة الممتدة من نهر الفولغا غرباً إلى سيبيريا شرقاً، ومن جبال الهملايا في الجنوب إلى منطقة القطب الشمالي في الشمال. وتتلخّص نظرية قلب العالم لماكندر في الجمل الآتية:

- مَنْ يحكم شرق أوروبا يسيطر على منطقة قلب العالم.
- وَمَنْ يحكم قلب العالم يسيطر على جزيرة العالم.
- وَمَنْ يحكم جزيرة العالم يسيطر على العالم بأسره.

2. نظرية النطاق الهامشي «Rim land»<sup>(1)</sup> صاحب هذه النظرية هو «نيكولاس سبايكمان»، وقد ردّ فيها على نظرية ماكندر، إذ اعتبر أنّ منطقة قلب العالم أقلّ أهميّة من المنطقة الهامشية، ومن ثمّ مَنْ يرد السيطرة والقوة العالميّة، فإنّ عليه أن يضع في الحسبان ما يأتي:

- مَنْ يسيطر على الأراضي الهامشية يتحكّم في أوراسيا.
- وَمَنْ يحكم أوراسيا يتحكّم في مصائر العالم.

وقد رأى أنّ الصراع بين القوى العظمى سوف يكون من خلال السيطرة على الأراضي الهامشيّة، ومع ظهور الاتحاد السوفييتي حينئذٍ بصفة المسيطر الأوحد على قلب العالم، أصبحت آراء سبايكمان

---

1 - (NICHOLAS J. SPYKMAN. Geography and Foreign Policy. 1، p: 2850-. NICHOLAS J. SPYKMAN. The Geography of Peace. NICHOLAS J. SPYKMAN. America's Strategy in World Politics):

أساس السياسة الأميركية في احتواء المد الشيوعي في شرق أوروبا. وقد نجحت في إنشاء حلف شمال الأطلسي لمد نفوذها على الجانب الغربي للمناطق الهامشية، ونجحت في كسر تحالف دول شرق أوروبا مع الاتحاد السوفيتي، وأدت دوراً في تقليص الدور الروسي في شرق آسيا بزيادة نفوذها العسكري في الفيليبين وكوريا، وإنشاء تحالفات استراتيجية مع دول آسيا.

### ملاحظة:

إنَّ خاصية الدول المنتمية إلى أحد التصنيفين (يوجد نقص)، فالدول المصنفة في قلب العالم تتمتع بقوة عسكرية برية كبيرة جداً وتفتقد للقوة البحرية. عدم الإطلال على المسطحات المائية عموماً يقدم اقتصاداً ضعيفاً؛ نظراً للارتباط بين الملاحة البحرية والتجارة العالمية وقوة الاقتصاد، ممَّا يجعل من هذه الدول حبيسة جغرافياً، وهذا يؤدي إلى ضعف في الانتشار التجاري والثقافي لمحدودية التنقل والتواصل، باستثناء دول الجوار البري، ممَّا يؤدي إلى العزلة الثقافية والاقتصادية والعسكرية، وضعف في التأثير الجيوبوليتيكي. أمَّا الدول المصنفة في القلب والحافة، فتتميز بإطلاقات على المسطحات المائية، ما ينتج عنه قوة اقتصادية أكبر وانفتاح ثقافي واقتصادي على الدول التي لا تحدها حدود برية معها نتيجة الانفتاح على المسطحات المائية، ما يؤدي إلى تأثير ثقافي واقتصادي وسياسي وجيوبوليتيكي؛ لما تملكه من تنوع في القوة العسكرية البرية التي تمثل الحضارة التقليدية والقوة البحرية التي تمثل الحضارة الحديثة.

إذًا، توفّر القوّة البريّة لا يقتصر على الطابع العسكريّ فقط، بل على الهويّة الجيوبوليتيكيّة للحضارة التقليديّة لدولة ما (روسيا مثلاً)، والقوّة البحريّة التي تمثّل الهويّة الجيوبوليتيكيّة للحضارة الحديثة (بريطانيا، وأمريكا مثلاً).



**الفصل الثاني:**  
**تمهيد أولي لصياغة نظرية المحور المركزي**  
**(Central Pivot Theory)**

## ● أولاً: الحركة الجغرافيّة لأهمّ الأنبياء والرسالات العالميّة.

الأنبياء أولو العزم - محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام - هم أصحاب الحركة الأساسيّة التي شكّلت الدور الأهمّ في مسار التكامل الإنسانيّ. اللافت في حركتهم الاشتراك الجغرافيّ في بقعة واحدة الشرق الأوسط (شبه الجزيرة العربيّة، العراق، فلسطين ومصر) بالإضافة إلى الكثير من الأنبياء الأساسيين في هذا المسار (يعقوب، ويوسف، وزكريّا، ويحيى الخ.. عليهم السلام).

وإذا نظرنا إلى الأديان العالميّة الثلاثة: المسيحيّة، الإسلام واليهود، نرى أنّها انطلقت من هذه البقعة الجغرافيّة. إذًا، كان الاختيار الإلهيّ لأهمّ الحركات الرساليّة لأنبيائه - أولي العزم وغيرهم من الأنبياء - تتمحور في مركز ومحور العالم الذي اختاره الله النقطة الأساسيّة والمركزيّة لانطلاق أهمّ رسائله، مع وجود أنبياء آخرين في كامل أنحاء الكرة الأرضيّة. إلا أنّ عدم مركزيّة الأنبياء الآخرين ومحوريّة رسالاتهم جغرافياً، أدّى إلى انحصار رسالتهم بالمجتمع الضيق؛ لتكون رسالاتهم حبيسة الجغرافيا. إذًا، كما كان نجاح الرسالة وتوسّعها وعالميّتها مرتبطةً بشخص النبيّ، فجغرافيته من العوامل التي تسهم في التأثير العالميّ للدين أيضاً. فالاختيار الإلهيّ لأنبياء أولي العزم أصحاب الأهداف العالميّة، يشمل شخص النبيّ وطبيعة الرسالة والشريعة والجغرافيّة التي سينطلق منها أيضاً. من هنا نستنتج أهميّة الجغرافيا لأيّ مشروع إلهيّ؛ لمالها من أثر كبير على التفوّق والقدرة على التوسّع والانتشار. فالتاريخ يقول إنّ الأديان العالميّة الأكثر انتشاراً، انطلقت من هذه البقعة محور العالم.



● ثانياً: الأمة الإسلامية:

ما هي الأمة؟ يُعدُّ بندكت أندرسون أنَّ الأمة هي جماعة سياسية مُتخيَّلة، إذ يشمل التخيل أنَّها محدَّدة وسيِّدة أصلاً<sup>(1)</sup>. أمَّا واتسن، فيعدُّ الأمة توجد حين يُعدُّ عدد كبير من البشر في جماعة ما أنَّهم يشكِّلون أمة، أو يسلكون كما لو أنَّهم قد شكَّلوها<sup>(2)</sup>، وكان رينان قد أشار إلى هذا المفهوم المنمَّق بقوله: «والحال، إنَّ جوهر الأمة يتمثَّل في وجود كثير من الأشياء المشتركة بين سائر أفرادها، وفي أنَّ سائر هؤلاء قد نسوا أشياء عديدة»<sup>(3)</sup>. أمَّا غلنر، الذي يعدُّ الأمة نتاجاً للقوميَّة، فيقول بحدَّة إنَّ «القوميَّة ليست يقظة الأمم على وعي ذاتها: إنَّها تخرع الأمم حيث لا وجود لها»<sup>(4)</sup>. ثمَّ يُعبرُ بندكت عن أهميَّة الأمة بالنسبة للإنسان «إنَّ الانتماء إلى أمة هو تلك القيمة التي تحظى بأكبر قدر من الشرعيَّة الشاملة في حياة عصرنا السياسيَّة»<sup>(5)</sup>. ويرى وائل حلاق أنَّ الأمة تتكوَّن في تعريفها النموذجيِّ «من مجموعة المؤمنين المتساوين في القيمة، كمؤمنين، فلا يتمايزون أمام الله، وإذا فضَّل الله بعضهم على بعض، فإنَّ ذلك لا يكون على أساس

1 - أندرسن، بندكت، الجماعات المتخيَّلة تأملات في أصل القوميَّة وانتشارها، ص: 63.

2 - Seton-Watson, p: 5.

3 - Ernest Renan. Qu'est-ce qu'une nation? P: 892.

4 - Ernest Gellner. Thought and change. P: 169.

5 - أندرسن، بندكت، الجماعات المتخيَّلة تأملات في أصل القوميَّة وانتشارها، ص: 59.

الانتماء إلى طبقة أكثر قدرة أو إلى لون بشرية معين، بل على أساس درجة إيمانه أو إيمانها»<sup>(1)</sup>.

### ما هي مشتركات الأمة الإسلاميّة؟

المشتركات العامّة بين عامّة المسلمين باختلاف مذاهبهم (بعض ملامح الثقافة الإسلاميّة الأصيلة):

■ القرآن الكريم.

■ الصلاة.

■ الحج.

■ الصيام.

■ الزكاة.

■ زيارة المراقد المقدّسة.

■ الأدعية الدينيّة.

■ القرآن الكريم.

يُعدُّ القرآن، بوصفه معجزة النبيّ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من أهمّ المقدّسات المشتركة التي توجد في منزل كلّ مسلم، وهو الملجأ والمرشد الروحي الأوّل للمسلمين في حياتهم. وكونه عربيّاً يجعل القرآن اللغة العربيّة المشترك الأهمّ بين المسلمين؛ لما للغة من أهميّة كبيرة في

---

1 - حلاق، وائل، الدولة المستحيلّة الإسلام والسياسة ومأزق الحداثة الأخلاقي، ص 106-107-108.

تكوين الأمم وظهور القوميات «لكلّ شعب بما هو شعب تكوينه القوميّ مثلما أنّ له لغته»<sup>(1)</sup>، كما أنّها من الشروط الأساسية لتوحيد الأمة. «الأهمّ بكثير في شأن اللغة، هو قدرتها على توليد جماعات متخيّلة وعلى بناء ضروب معيّنة من التضامن»<sup>(2)</sup>. تتمتع اللغة العربيّة بانتشار واسع بين كلّ الدول الإسلاميّة، فالقرآن هو المدوّنة الموحّدة غير المحرّفة، ويعدّ من أهمّ أسباب قوّة اللغة العربيّة وانتشارها؛ للضرورة التي تفرضها الشريعة الإسلاميّة لقراءة القرآن باللغة العربيّة في الصلاة. إذاً، فاللغة العربيّة الإسلاميّة القرآنيّة ليست لغة قوميّة مختصّة بالعرب حصراً؛ لأنّ كلّ من يدخل الإسلام حتّى لو لم يكن عربياً، سيتعلّم اللغة حتماً كشرط لقراءة القرآن وأداء الصلاة، والإسلام يرفض القومية «لا فرق بين عربي ولا أعجميّ ولا أبيض ولا أسود إلاّ بالتقوى»<sup>(3)</sup>.

### ■ الصلاة:

تعدّ الصلاة المشترك الأساسي كالقرآن، حيث يتشارك المسلمون في أدائها كلّ يوم، ممّا يعزّز التقارب والألفة بينهم ويوحّد سلوكهم الجمعيّ في الأمة. كما أنّها تعتبر السبب الثاني لقوّة اللغة العربيّة لضرورة أداء

1 - Aira Kemilainen, Nationalism: Problems Concerning the World, the Concept and Classification. P42.

2 - أندرسن، بندكت، الجماعات المتخيّلة تأملات في أصل القومية وانتشارها، ص 213.

3 - الألباني، شرح العقيدة الطحاويّة، ص 361.

الصلاة بالعربيّة، وتوجّه جميع المسلمين المنتشرين في أرجاء العالم كلّه باتجاه قبلة واحدة (الكعبة)؛ لما لهذا العمل من رمزيّة باعتبار الكعبة محور الأرض، وأنّه أينما كان الإنسان على وجه الأرض، عند أدائه الصلاة عليه التوجّه إلى قبلة واحدة محوريّة ومركزيّة. فالصلاة بأوضاعها الجسديّة المتتابعة تعبّر عن خضوع لسلطة أعلى، في حين تمثّل بتلاوتها ودعاءاتها واستعاذتها الحاجة إلى رضا هذه السلطة وغبطتها بأعمال المؤمن<sup>(1)</sup>. وللصلاة أهميّة في تعزيز المشتركات بين الشعوب المتباعدة جغرافياً وثقافياً وحضارياً أيضاً، وهذا ما يخلق أمة متماسكة موحّدة ليصبح المشترك بينهم أكبر من كلّ الاختلافات والتناقضات. وبتعزيز المشترك بينهم من خلال الثقافة الإسلاميّة، يعزّز مفهوم الأمة والانتماء للهويّة الفطريّة.

### ■ الحج:

المميّز في الحجّ عن المشتركين الأوّلين أنّه طقس دينيّ جماعيّ، فأداء الصلاة وقراءة القرآن يمكن أن تكون فرديّة أو جماعيّة، أمّا الحجّ فلا يكون إلّا جماعيّاً، وهذا بحدّ ذاته له أهميّة كبيرة لتعزيز المشتركات وتثبيت الانتماء إلى الهويّة، ليثبت الحجّ أنّ الإسلام فوق الأعراق والقوميّات المحدودة والهويّات الضيقة المصطنعة.

إنّ التجاور البدنيّ الغريب الذي يتجاوره الملاويون والفرس والهنود

---

1 - حلاق، وائل، الدولة المستحيلة الإسلام والسياسة ومأزق الحداثة الأخلاقي، ص 219.

والبربر والأترك في مكّة، لا يمكن أن يفهم من دون فكرة أنّهم جماعة على نحو ما؛ ذلك أنّ البربري الذي يلتقي الملاوي عند الكعبة لا بدّ من أن يتساءل: «لماذا يفعل هذا الرجل ما أفعله، وينطق بالكلمات التي أنطق بها مع أننا لا نستطيع أن يكلم واحدنا الآخر؟» وليس هناك سوى جواب واحد سبق أن تعلّمه المرء، هو: «لأننا...مسلمان»<sup>(1)</sup>.

### ■ الصيام:

وهو من المشتركات المهمّة بين المسلمين كافّة، فالصيام الواجب في شهر رمضان يُحتّم على المؤمنين الصيام؛ لما لهذا العمل من أثر على التوحّد مع معاناة الآخرين، مولدًا الشعور بالرحمة تجاه البشر الآخرين والتواضع إزاءهم<sup>(2)</sup>، ما يعزّز من الترابط الاجتماعيّ للأمة.

### ■ الزكاة:

تولّد الزكاة الشعور بالمحتاجين والفقراء، وتذكّر المؤمنين بأنّ ملكيّتهم للثروة الدنيويّة هي ملكيّة اسميّة، حيث يمكن المالك الحقيقيّ للثروة من استردادها بحسب تقديره<sup>(3)</sup>.

- 
- 1 - أندرسن، بندكت، الجماعات المتخيّلة تأملات في أصل القوميّة وانتشارها، ص: 123.
  - 2 - حلاق، وائل، الدولة المستحيلّة الإسلام والسياسة ومأزق الحداثة الأخلاقي، ص 219.
  - 3 - المصدر نفسه.

### ■ زيارة المراقد المقدّسة<sup>(1)</sup>:

تعتبر زيارة المراقد المقدّسة أيضاً من الشعائر الجماعيّة التي تعزّز المشترك بين الأُمّة، ما يقوّي الانتماء للهويّة، فنرى مثلاً في زيارة «الأربعين» تجمّع عشرات الملايين من المسلمين على مختلف مذاهبهم، وحتى أحياناً دياناتهم غير الإسلاميّة، ليمشوا من النجف الأشرف بعد زيارة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إلى كربلاء المقدّسة لزيارة الحسين عليه السلام، لتكشف هذه المناسبة عن حقيقة نموذج الإنسان الكامل وماهيته العابرة للجغرافيا والمذاهب والأعراق والقوميّات، فالهويّة التي نراها جليّة في أربعينيّة الإمام الحسين عليه السلام، تلك الهوية الفطريّة التي تتميّز بالقوّة والشموليّة والجادبيّة الكبيرة، استطاعت الإحاطة بالنوع الإنسانيّ ككلّ دون أيّ تمييز أو تقسيم أو اختزال، تلك الهوية الجاذبة للفطرة الإنسانيّة استطاعت أن تجذب إليها أكثر من عشرين مليون زائر كدحوا لزيارة الحسين عليه السلام، استطاعت هذه الهوية الحسينيّة أن تحشد لأكبر محفل بشريّ عرفه التاريخ في أكثر البلدان «تخلّفاً وأكثرها بعداً عن الحضارة» بالنسبة للكثير من شعوب «الحضارة الماديّة» التي لا تؤمن إلاّ بالعنصر الماديّ للوصول إلى الأهداف المرجوّة دون الحاجة إلى السماء، وإلّكم هذه المقارنة

---

1 - هذا المشترك للأسف طُليت عليه صبغة طائفية مذهبية مختصّة بالمذهب الاثني عشري، إلاّ أنّنا نرى في الكثير من الأحيان من يكسر هذا الوهم المتخيّل من الذين قد ضلّلوا الناس بأخبار غير صحيحة عن هذا الطقس الدينيّ أو من خلال بعض الجهلة المنتمين لهذا المذهب بأفعالهم المسيئة والمبالغ فيها غير المنطقيّة. فالإمام هو إمام العالم لا الشيعة ولا المسلمين حصراً دون غيرهم.

البسيطة: تحشد أربعين الإمام الحسين عليه السلام الملايين من الزوّار سنوياً ومن دون جهة تتبى الترويج لهذا النوع من السياحة الدينية ومن دون توقّر الحد الأدنى من الأسباب الماديّة - بنى تحيّة، أمن، استقرار، كهرباء... لنجاح هذا الحدث. وفي المقابل، دول «الحضارة الماديّة» هيأت كلّ الأسباب الماديّة اللازمة لنجاح مشروع مماثل للأربعين الحسينيّة، ألا وهو مسار «المشي على خطا إبراهيم»، حيث سعت هذه الدول -بصدارة أمريكا وفرنسا وبريطانيا- إلى إقامة حدث عالمي يروّج «للديانة الإبراهيميّة المشتركة»: «يدرس فريق العلم والسياسات الخارجيّة والدين التابع لوزارة الخارجيّة الأمريكيّة طرائق العمل مع أحفاد إبراهيم الروحانيين لتطوير شبكة من طرق الحجّ تربط المواقع المقدّسة في البلدان العشرة في الشرق الأوسط التي زارها إبراهيم»<sup>(1)</sup>. وإيكم النتيجة التي آلت إليها كلّ هذه الجهود التي تصدّت لها الدول العظمى: «فُتح الطريق عام 2008 كمحفّز للسياحة الدينيّة المستدامة والتنمية الاقتصاديّة، ومنصّة شبابيّة، وبناء السلام. وبدأت بمسيرة شملت مجموعة الطلبة بصحبة الرئيس السوريّ الأسد وهو يمشي على امتداد الطريق مع الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر. وبدأ عدد السياح أو الحجّاج على الطريق عام 2008 نحو 250 شخصاً زاد عددهم عام 2009 ليصل إلى 650 شخصاً، وهو ما يعكس انتشار الفكرة والترويج لها»<sup>(2)</sup>.

1 - العزب، هبة جمال الدين محمّد، الدبلوماسية الروحيّة والمشارك الإبراهيمي المخطّط الاستعماري للقرن الجديد، ص 83.

2 - العزب، هبة جمال الدين محمّد، الدبلوماسية الروحيّة والمشارك الإبراهيمي المخطّط الاستعماري للقرن الجديد، ص 129.

إِنَّ الْأَسْبَابَ الْمَوْضُوعِيَّةَ لِلنَّجَاحِ تَتَجَاوَزُ بِكَثِيرٍ الْأَسْبَابَ الْمَادِيَّةَ غَيْرَ الْمُرْتَبِطَةَ بِالسَّمَاءِ.

### ■ الْأَدْعِيَّةُ الدِّيْنِيَّةُ:

الدَّعَاءُ هُوَ الْإِرْثُ الَّذِي وَرَثْتَهُ الْأُمَّةُ مِنَ الْإِنْسَانِ الْكَامِلِ، وَالَّذِي يَعْتَبَرُ الْخَرِيْطَةَ لِمَنْعَةِ الْمَحْتَوَى الْإِنْسَانِيَّ فِي مَخْتَلَفِ الْمَجَالَاتِ النَّفْسِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ؛ لِيَكُونَ الدَّعَاءُ كَالدَّسْتُوْر الَّذِي سَيَخْتَارُهُ الْإِنْسَانُ وَيَنْجَذِبُ إِلَيْهِ فِي مَسَارِهِ التَّكَامُلِيَّ، فَيَكُونُ الْمَشْتَرِكُ هُوَ هَذَا الدَّسْتُوْر الصَّانِعُ لِلْمَحْتَوَى الَّذِي سَيَنْتِجُ عَنْهُ سَلُوْكُ إِنْسَانِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ الْمَشْتَرِكُ الْإِنْسَانِيَّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَكْبَرَ، بِاعْتِبَارِهِمْ سَلَكُوا الْمَسَارَ نَفْسَهُ، وَآمَنُوا بِالْمَنْظُومَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ نَفْسَهَا.

### ج- الْاِمْتِدَادُ وَالتَّنَوُّعُ الْجُغْرَافِيُّ لِلدُّوْلِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

يَتَمَيَّزُ الْعَالَمُ الْإِسْلَامِيُّ بِاِمْتِدَادٍ جُغْرَافِيٍّ كَبِيرٍ وَمْتَنَوِّعٍ، حَيْثُ إِنَّهُ يَمْتَدُّ مِنْ شَرْقِ آسِيَا (أَنْدُونِيْسِيَا وَمَالِيْزِيَا) إِلَى أُوْرُوْبَا الشَّرْقِيَّةِ وَدُوْلِ الْبَلْقَانِ (صُرِيَا أَلْبَانِيَا) وَشَمَالِ أَفْرِيْقِيَا وَعَمَقْهَا (نِيْجِيْرِيَا) وَجَنُوبِهَا جَزْرَ الْمَالْدِيْفِ وَالْمُوْزَامْبِيْقِ. حَيْثُ إِنَّ هُنَاكَ 57 دَوْلَةً إِسْلَامِيَّةً مُوزَّعَةً عَلَى ثَلَاثِ قَارَاتِ الْعَالَمِ الْقَدِيْمِ مَعَ وَجُودِ الْكَثِيْرِ مِنَ الْجَالِيَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي أَغْلَبِ دُوْلِ الْعَالَمِ. كَمَا أَنَّهُ تَوْجَدُ دُوْلِ غَيْرِ إِسْلَامِيَّةٍ فِي شَرْقِ آسِيَا، وَلَكِنْ مَعَ حُضُورِ إِسْلَامِيٍّ كَبِيْرٍ؛ كَالْهِنْدِ 173 مِلْيُوْنَ نَسْمَةً مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ، وَمَقَاطِعَةُ سَنْجَانِ الصِّيْنِيَّةِ فِي غَرْبِ الصِّيْنِ، وَتَعَدُّ مِنْ أَكْبَرِ الْمَقَاطِعَاتِ كِمَسَاحَةِ 1665 مِلْيُوْنَ



كيلو متر مكعب، والتي تحوي ما يقارب 23 مليون نسمة من المسلمين الإيغور، وتتميّز هذه المنطقة بأغلبية سكّانها من الإيغور. إذًا، فالامتداد الجغرافي الإسلامي يبدأ من غرب الصين وينتهي في شرق أوروبا<sup>(1)</sup>.  
توزع الدول الإسلاميّة في القارات الأربعة على الشكل الآتي<sup>(2)</sup>:

دول غرب آسيا: فلسطين - لبنان - الأردن - سوريا - تركيا.  
ومنطقة الخليج: إيران - العراق - الكويت - السعودية - الإمارات - قطر - البحرين - عمان - اليمن.  
آسيا الوسطى وهي دول إسلاميّة وتشمل: أفغانستان - باكستان - كازاخستان - طاجكستان - أوزبكستان - تركمانستان - قيرغيزستان.  
دول شرق آسيا وتشمل: بنغلادش، أندونيسيا، ماليزيا، المالديف، سنغافورة وبروناي.  
شمال أفريقيا: وتشمل: مصر - السودان - ليبيا - الجزائر - تونس - المغرب - موريتانيا - مع القرن الإفريقي - الصومال.  
دول العمق الأفريقي: أوغندا - بنين - بوركينا فاسو - تشاد - جزر القمر - جيبوتي - سنغال - سيراليون - توغو - غابون - غامبيا - غينيا - بيساو - كامرون - مالي - موزنبيق - النيجر ونيجيريا.  
تقع في قارة أمريكا الجنوبيّة دولتان مسلمتان هما: سورينام وغويانا.

---

1 - The Future of the Global Muslim Population. Pew Research center.  
2 - ملكاوي، أسماء، حالة العالم الإسلاميّ: أرقام ومؤشرات، موقع الجزيرة نت، 3-10-2004.

وفي أوروبا دولة ألبانيا - البوسنة والهرسك - وكوسوفو (معترف بها جزئياً) بالإضافة إلى الجاليات المسلمة الكبيرة المنتشرة في أرجاء العالم.

يتسم الموقع الجغرافي بالثبات، إلا أن قيمته الاستراتيجية السياسية في تغير مع الزمن؛ وذلك نظراً لتحوّل أهداف واستراتيجيات القوى العظمى، فضلاً عن اكتشاف طرق جديدة تؤدّي إلى اضمحلال الأولى، إلى جانب ما أضافته التطوّرات التقيّنة والتكنولوجية من تحولات في وظيفة الموقع الجغرافي. وعلى الرغم من تغير الاستراتيجيات الدوليّة، تبقى بعض المواقع مستمرّة في الأهميّة عبر المراحل التاريخية المختلفة، وذلك بفعل مركزيتها وما يقترن به المكان من معطيات اقتصادية وفيرة، وهو ما يدعى بالموضع.

تنعكس هذه الخصائص على أهميّة الموقع الجغرافي للعالم الإسلامي بشكل عام والشرق الأوسط الإسلامي بشكل خاصّ الذي يأتي من خلال ما يمتلكه موقعه من مزايا جيوبوليتيكية كانت من عطاء المكان، فامتداده الواسع من خط طول (18) غرباً عند سواحل المحيط الأطلسي و(140) عند أطراف أندونيسيا شرقاً، وبين دائرتي عرض (55) شمالاً عند الحدود الشماليّة لجمهورية كازاخستان الآسيويّة، ويستحوذ على ربع مساحة الكرة الأرضيّة. هناك ما يقدر بـ 1.57 مليار مسلم في العالم، منظّمة التعاون الإسلاميّ لديها 57 دولة عضواً، والدول العشر التي تضمّ أكبر عدد من المسلمين هي: الهند وأندونيسيا، وباكستان، ونيجيريا، وبنغلادش، ومصر وإيران وتركيا والجزائر والعراق. من هذه

الدول، ليست سوى ثلاث دول عربيّة هي مصر والجزائر والعراق، معظم العرب مسلمون، ولكنّ معظم المسلمين ليسوا عرباً<sup>(1)</sup>.

#### د- المقومات الجيوبوليتيكية الإسلاميّة

تتضح أهميّة العالم الإسلاميّ باتساع رقعته الجغرافيّة، التي لم تقتصر على الشرق الأوسط، بل أصبح جزءاً من منطقة أوسع يرتبط بامتداد جيوسراتيجيّ متّصل من الناحية الجغرافيّة، ومن ثمّ يرتبط بوحدة دينيّة ثقافيّة تؤسّس لأرضيّته التاريخيّة- الحضاريّة وتمثّل تأثيراتها المتجليّة في الأحداث السياسيّة حتّى اللحظة الراهنة. من هنا يمكن تصوّر مركز الثقل الجيوبوليتيكي للعالم الإسلاميّ من كونه المكان الذي تتوازن فيه القوى الاستراتيجية، والتي تدفع التكتلات الكبرى للسيطرة عليه والانفراد به. يطلّ العالم الإسلاميّ على أهمّ المسطّحات المائيّة العالميّة، فالبحر المتوسّط الذي يقع حوضه الجنوبيّ بالكامل في الشمال الغربيّ ضمن العالم الإسلاميّ، وحوضه الشرقيّ في وسط العالم الإسلاميّ (الشرق الأوسط لبنان، سوريا، تركيا، فلسطين) أعظم ممرّ بحريّ في العالم، فضلاً عن الإطلالات على أربعة بحار أخرى هي (الأحمر، والعربيّ، والأسود، وقزوين) إلى جانب الخليج الإسلاميّ (المتنازع على تسميته «الخليج العربيّ أم الفارسي»)، والذي أطلق عليه الامام الخميني اسم الإسلاميّ

1 - ملكاوي، أسماء، حالة العالم الإسلاميّ: أرقام ومؤشّرات، موقع الجزيرة نت، 3-10-2004.

ومجموعة البحار الداخليّة والأحواض والقنوات المائيّة المهمّة مثل قناة السويس، الأمر الذي جعل منه الجسر الأرضي الذي يربط بين جزيرة العالم (آسيا وأوروبا وأفريقيا)، كما سهّل عمليّات النقل البحريّ طوال العام بسبب الظروف المناخية الدافئة السائدة عليه؛ لوقوعه ضمن المنطقة المعتدلة، كما أنّه بمثابة جسر يربط الشرق والغرب، إذ يقع على شبكة النقل التي تربط بين الطرفين الأكثر ثراءً وتطوراً علمياً وتكنولوجياً في شرق أوراسيا وغربها.

يقدّر أنّ ما يقرب من 220,000 سفينة تجارية تحمل أكثر من 100 مليون طن تعبر البحر المتوسط كلّ عام - تعدّ ثلث الشحن التجاريّ الكليّ في العالم. يتمّ نقل ما يقارب 370,000,000 طن من النفط سنويّاً في البحر الأبيض المتوسط (أكثر من 20٪ من المجموع العالميّ)، وتعبر البحر كلّ يوم حوالي 250 - 300 ناقلة نفط<sup>(1)</sup>. وقد تزايدت الأهمية الاستراتيجية الكبرى لمنطقة شرق البحر المتوسط بعد الاكتشافات الجديدة لمصادر الطاقة (النفط والغاز الطبيعيّ) في المياه العميقة من شرق البحر المتوسط، إذ تمّ العثور على الجزء الرئيس من احتياطيّات الطاقة المكتشفة في المناطق الاقتصادية الخالصة لبلدان المنطقة<sup>(2)</sup>. إنّ الطاقة جعلت من مياه شرق البحر المتوسط ذات أهمية كبرى على المستويين الإقليميّ والعالميّ

---

1 - Other threats in the Mediterranean Greenpeace International. Greenpeace.org.2010

2 - هادي، زهراء عباس، الجغرافيا السياسية للطاقة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، ص 11.

من خلال تعزيز الأهمية الجيوبوليتيكية وتشكيل مصدر قوة للمنطقة، وهو ما ينعكس على طبيعة أنماط التفاعلات السياسية إقليمياً وعالمياً<sup>(1)</sup>.

أما البحر الأحمر، فيتميز بموقع جغرافي واستراتيجي مهم؛ لأنه ملتقى قارتي العالم القديم، وهو حلقة وصل بين أربع مناطق إقليمية هي: الشرق الأوسط، والقرن الأفريقي، والمحيط الهندي، ومنطقة الخليج. يستمد البحر الأحمر أهميته الاستراتيجية من موقعه الجغرافي الذي وفر للقوى الإقليمية والدولية إمكانية الوصول إلى المحيط الهندي، وزادت هذه الأهمية بعد اكتشاف النفط في دول الخليج العربية. وتكمن أهمية البحر الأحمر في كونه يمثل نظاماً فرعياً من إقليم الشرق الأوسط المضطرب والمثير للجدل الذي يوصف بأنه عالم بلا نهاية، وتارةً بأنه نهاية العالم، ويقع في قلب قوس عدم الاستقرار، كما حدده برجينسكي، وهو القوس الذي يضم الشرق الأوسط والقرن الأفريقي ومنطقة المحيط الهندي.

كما يقع ضمن الإطار الجيوبوليتيكي لمنطقة الخليج الاستراتيجية. فلبح البحر الأحمر أهمية استراتيجية للأمن القومي العربي في ثلاث دوائر: الأمن العربي، والأمن الأفريقي، والأمن العالمي، ومركزها القرن الأفريقي. فهو يعتبر قناة وصل بين البحار والمحيطات المفتوحة، ومن هنا تزيد أهميته الاستراتيجية، سواء أكان من الناحية العسكرية أم الاقتصادية أم الأمنية. وهو الطريق الرئيس الذي يمر من خلاله نفط الخليج العربي وإيران إلى الأسواق العالمية في أوروبا؛ إذ تحتاج أوروبا إلى نقل 60%

1 - المصدر نفسه، ص 12.

من احتياجاتها من الطاقة عبر البحر الأحمر، وإلى نقل نحو 25% من احتياجات النفط للولايات المتحدة الأميركية عبره أيضاً. وللبحر الأحمر دوره في التجارة الدولية بين أوروبا وآسيا، وتقدر السفن التجارية العابرة للبحر الأحمر سنوياً بأكثر من عشرين ألف سفينة. وتقع ثروات قاع البحر الأحمر في نطاق المنطقة الاقتصادية للدول المطلة عليه؛ إذ يمثل العمق الاستراتيجي لكل من السعودية ومصر.

ويختصر البحر الأحمر المسافة بين الشرق والغرب، ويتناخم الكثير من المناطق الحساسة ذات التأثير الحيوي، مثل منابع النيل وروافده والأماكن الإسلامية المقدسة. كما أنه يعتبر جزءاً مهماً في طرق الشحن البحري بين أوروبا، الخليج الإسلامي وبحر العرب وصولاً إلى شرق آسيا؛ لذلك كان له الأهمية الجيوبوليتيكية الكبيرة جداً لما له من دور كبير في الملاحة والتجارة العالمية، والأهم من ذلك أنه ممر أساسي لموارد الطاقة من نفط وغاز لغنى البلاد المحيطة به بهذه الموارد<sup>(1)</sup>.

ويعتبر بحر قزوين من الممرات المهمة لدول آسيا الوسطى، ويشكل حلقة الوصل لدول أوراسيا وبوابة العبور لأوروبا، كما يتمتع بثروة نفطية كبيرة؛ لوجود حقل تنغيز ثاني أكبر حقول النفط في العالم، بعد حقل الغوار في السعودية<sup>(2)</sup>.

1 - مراجعة كتاب أمن البحر الأحمر لمؤلفه سامي عبد العزيز عثمان، 2016، للكاتبة: د. صالح محروس محمد. 18 أيلول 2017.

2 - Tengizchevroil.com

ويتمتع بحر قزوين أيضاً بوفرة حقول الغاز، فبحلول عام 2026 سيتم تسليم مشروع تاناب\* إلى أوروبا بمقدار 31 مليار متر مكعب من الغاز سنوياً. تاناب هو أكبر مشروع للغاز الطبيعي في تركيا. فمن المتوقع أن تأخذ تركيا مكاناً خاصاً في مجال الطاقة العالمية. ويمكن اعتبار مشروع تاناب مشروعاً ناجحاً من وجهة النظر هذه. بدأ مشروع تاناب حقبة جديدة بين أذربيجان وتركيا<sup>(1)</sup>. إذاً، يعتبر بحر قزوين ممراً أساسياً لإمدادات النفط وأنايب الغاز والتجارة من دول آسيا الوسطى تركيا وروسيا ثم إلى شرق أوروبا.

البحر الأسود بحر داخلي يقع بين الجزء الجنوبي الشرقي لأوروبا وآسيا الصغرى ويتصل بالبحر المتوسط عن طريق مضيق البوسفور وبحر مرمرة، ويتصل ببحر آزوف عن طريق مضيق كيرتش<sup>(2)</sup>، ويعتبر الإطالة البحرية الوحيدة لدول أوروبا الشرقية، وأهم ممر مائي لروسيا (لروسيا إطالتان للمياه الدافئة، وتعتبر نسبياً دولة حيصة جغرافياً لولا البحر الأسود وإطالة صغيرة جداً على بحر البلطيق الذي يقع تحت سيطرة الناتو، وذلك لأن

---

1 - رئيس أذربيجان: توقيع مشروع تاناب مع تركيا حدث تاريخي». [aa.com.tr](http://aa.com.tr).  
مؤرشف من الأصل في 22 فبراير 2018. اطلع عليه بتاريخ 21 فبراير 2018.  
\*خط أنايب الغاز عبر الأناضول - ومن خلال مشروع تاناب. سيتدفق غاز أذربيجان عبر جورجيا وتركيا إلى الأسواق الأوروبية.

2 - Eker-Develi, E. Distribution of phytoplankton in the southern Black Sea. Spring and autumn 1998. Journal of Marine Systems. 39 (3-4): 203-211.

الإطلاقات البحرية الأخرى هي مناطق جليدية؛ لذلك فإن للبحر الأسود أهمية كبيرة جداً من الناحية التجارية والأمن الغذائي وأمن الطاقة لدول أوروبا الشرقية وروسيا، وتعتبر تركيا (دولة إسلامية) المسيطرة على منفذ البحر الأسود للبحر المتوسط لسيطرتها على مضيق البوسفور والدردينيل. تعد كل هذه البحار ضمن الامتداد الإسلامي الذي يمكن له بحال توحيده وبروزه كقوة إسلامية موحدة السيطرة عليها، باعتبار أن لديها الأسباب الجغرافية للسيطرة عليها بشكل أكبر من القوى العالمية الأخرى. وكذلك يمتد العالم الإسلامي - بإطلالة أندونيسيا، بورما، ماليزيا- على بحر الصين الجنوبي، ولكن بتأثير أقل من تأثيرها على المسطحات المذكورة سابقاً. وإذا استعرضنا المضائق التي تسيطر عليها الدول الإسلامية، ندرك بشكل أوضح خطورة البعد الاستراتيجي والجيوبوليتيكي للعالم الإسلامي وأهميته.

فقناة السويس التي تربط بين البحر الأحمر والمتوسط، تشكل حلقة الوصل الأساسية لجزيرة العالم، وتعد من أهم الممرات المائية للتجارة العالمية، ونقل موارد الطاقة التي يمر عبرها ما بين 8% إلى 12% من حجم التجارة العالمية أيضاً<sup>(1)</sup>. فهي ثاني أكبر ممر مائي بالعالم بعد مضيق ملقا، يمر عبرها 12% من الملاحة العالمية، 30% من الحاويات المتبادلة بالعالم، 10% من البترول ومشتقاته، 8% من الغاز المسال، 14.5% من

1 - الشناوي، عبد العزيز محمد، السخرة في حفر قناة السويس، ص: 376. هلال، جابر عبد السلام، السر الكبير، أسرار وخفايا تأمين قناة السويس، ص: 144.



الأسمدة الزراعيّة، و14.6% من تجارة الحبوب. كذلك يشكّل مضيق باب المندب أهميّة استراتيجية بالغة، حيث إنّه يعتبر قناة ما بين بحر الأحمر والمحيط الهنديّ، وبين البحر المتوسط والمحيط الهنديّ عبر قناة السويس. يعتبر مضيق باب المندب رابع أكبر الممرّات من حيث عدد براميل النفط التي تمرّ عبره يوميّاً. وقد مرّ عبر المضيق نحو 3.8 ملايين برميل في اليوم عام 2013؛ أي نحو 6.7 في المئة من تجارة النفط العالميّة. وتدقّق نحو 4.8 ملايين برميل يوميّاً من النفط الخام والمنتجات النفطية المكرّرة عبر باب المندب عام 2016 في اتجاه أوروبا والولايات المتّحدة وآسيا، وفق الإدارة الأميركيّة لمعلومات الطاقة. يمثّل مضيق باب المندب أهميّة بالغة لمصر؛ لأنّ نحو 98 في المئة من البضائع والسفن الداخلة التي تمرّ عبر السويس، تمرّ من خلال المضيق<sup>(1)</sup>. هذه الأرقام تعتبر صغيرة بالمقارنة بمضيق هرمز، والذي يعبر من خلاله 40% من حاملات النفط في العالم<sup>(2)</sup>، فوفقاً لإدارة معلومات الطاقة الأميركيّة، فإنّه في عام 2011، تمّ نقل ما معدّله 14 ناقلة نفط في اليوم من الخليج العربيّ عبر المضيق محمّلاً بـ 17 مليون برميل (2,700,000 م<sup>3</sup>) من النفط الخام. ويقال إنّ هذا يمثّل 35% من شحنات النفط المنقولة بحرّاً في العالم، و20% من النفط المتداول في جميع أنحاء العالم. وذكر

1 - «باب المندب بالوقائع والأرقام». الشرق الأوسط. مؤرشف من الأصل في 27 يوليو 2018. اطلع عليه بتاريخ 02 فبراير 2021.

2 - World Oil Transit Chokepoints.

التقرير أن أكثر من 85% من صادرات النفط الخام، ذهبت إلى الأسواق الآسيوية، مع اليابان والهند وكوريا الجنوبية والصين أكبر الوجهات<sup>(1)</sup>.  
يمثل الممر المائي التركيّ (البوسفور - الدردنيل) الرابط المائي بين شمال شرق البحر المتوسط والبحر الأسود عبر بحر إيجه؛ وبذلك فإنّ هذا الممرّ يُعدّ حلقة وصل تربط قارتي آسيا وأوروبا<sup>(2)</sup>. يبلغ عدد الناقلات التي تمرّ من المضيقين التركيّين 37 ناقلة يومياً و13335 ناقلة سنوياً. ما يقارب 24 بالمئة من حمولة البضائع هي من منتجات الطاقة، النفط والغاز الطبيعيّ يأتي من أفريقيا والخليج العربيّ والبحر الأسود وإلى حدّ كبير من روسيا ويمرّ من مضيق البوسفور<sup>(3)</sup>.

كما أنّ مضيق جبل طارق يعتبر من الممرّات المهمّة جدّاً لجزيرة العالم الذي يعتبر الممرّ المائي الأساسي الأوّل للدخول إلى البحر المتوسط، هذا المضيق الآن تحت السيطرة الإنكليزية والإسبانية. ويُعدّ هذا المضيق المدخل الرئيس للبحر المتوسط باتساع ما يقرب من 13 كم فقط عند أضيق نقطة، إلاّ أنّه يظلّ الشريان الحيويّ الموصل بين العالمين: المتقدّم في غرب أوروبا وشرق المحيط الأطلسي والولايات المتّحدة الأمريكيّة وكندا من ناحية، والعالم النامي في أفريقيا وآسيا من ناحية أخرى. وبناءً

1 - Alejandra Roman & Administration. «Strait of Hormuz». The Encyclopedia of Earth. . 2015.

2 - هادي، زهراء عباس، الجغرافيا السياسية للطاقة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، ص22.

3 - المصدر نفسه، ص24.

عليه، فإنَّ مجموع علاقات البحر المتوسط مرتببً بالضرورة بمجموعة علاقات المحيط الأطلسي والمحيط الهندي والمحيط الهادئ، كما أنَّ تأثير هذه العلاقات يتقيّد بالأبعاد الجغرافيّة للوحدات السياسيّة المطلّة على هذا البحر، بل يمتدّ أيضًا إلى الحيّز الجيوبوليتيكي للبلدان المتأثّرة جميعًا بتلك العلاقات المباشرة أو غير المباشرة بحكم عوامل تكوينها الجيوبوليتيكي، التي هي عوامل واحدة، وإنّ تباينت محليًا بالنظر إلى الكمّ، ودرجة التأثير، والتطوّر الحضاريّ، والموقع الجغرافيّ، فعلاقات المكان تؤثر في التشكيل المحليّ للمناطق المختلفة<sup>(1)</sup>.

إذًا، يحظى العالم الإسلاميّ بإمكانية السيطرة على جميع المداخل المائيّة للبحر الأبيض المتوسط.

أمّا مممرّ ملقا الذي يقع بين أندونيسيا وماليزيا (دول إسلاميّة)، فهو من أكثر الممرّات العالميّة ازدحامًا، ويعتبر الشريان الأساسيّ لدول جنوب شرق آسيا. من منظور استراتيجيّ واقتصاديّ، يعدّ مضيق ملقا أحد أهمّ ممرّات الشحن في العالم، وهو قناة الشحن الرئيّسة بين المحيط الهندي والمحيط الهادئ، ويربط بين الاقتصادات الآسيويّة الرئيّسة، مثل الهند وتايلاند وإندونيسيا وماليزيا والفلبين وسنغافورة والصين واليابان وتايوان وكوريا الجنوبية. يعدّ مضيق ملقا جزءًا من طريق الحرير البحريّ الذي يمتدّ من الساحل الصيني باتجاه الطرف الجنوبي للهند إلى مومباسا، ومن هناك عبر البحر الأحمر عبر قناة السويس إلى البحر الأبيض المتوسط،

1 - السماك، محمّد أزهري سعيد، الجغرافيا السياسيّة الحديثة، ص 378.

ومن هناك إلى منطقة البحر الأدرياتيكي العليا إلى شمال إيطاليا، محور تريسْت مع وصلات السكك الحديدية إلى وسط أوروبا وبحر الشمال<sup>(1)</sup>. يمرّ أكثر من 94000 سفينة<sup>(2)</sup> عبر المضيق كلّ عام؛ ممّا يجعله أكثر المضائق ازدحامًا في العالم<sup>(3)</sup>. يحمل حوالي 25٪ من البضائع المتداولة في العالم، بما في ذلك النفط والمنتجات الصينية والفحم وزيت النخيل والقهوة<sup>(4)</sup>. يمرّ حوالي ربع النفط المنقول عن طريق البحر عبر المضيق، وخاصة من موردي الخليج الإسلامي إلى الأسواق الآسيوية. في العام 2007، تمّ نقل ما يقدر بـ 13.7 مليون برميل يوميًا عبر المضيق، وزاد ذلك إلى ما يقدر بنحو 15.2 مليون برميل يوميًا في العام 2011. بالإضافة إلى ذلك، فهو أيضًا واحدة من أكثر نقاط اختناق الشحن ازدحامًا في العالم؛ لأنّه يضيق إلى 2.8 كيلو متر فقط (1.5 ميل بحري) في قناة فيليب<sup>(5)</sup>.

- 
- 1 - Marcus Hernig: Die Renaissance der Seidenstraße (2018) pp 112. (بالألمانية). And, The Maritime Silk Road in South-East Asia.
- 2 - Aljazeera.net Archived 201105-06- at the Wayback Machine (in English)
- 3 - Strait of Malacca - World Oil Transit Chokepoints Archived 201422-11- at the Wayback Machine, Energy Information Administration, U.S. Department of Energy
- 4 - Freeman, Donald B. (2003). The Straits of Malacca: Gateway or Gauntlet?. McGill-Queen's University Press. ISBN 07-2515-7735-. A book review citing this information can be found at University of Toronto Quarterly, Volume 74, Number 1, Winter 2004/5, pp. 528530-5 - «International - U.S. Energy Information Administration (EIA)» (PDF). www.eia.gov. Archived (PDF) from the original on 22 November 2014. Retrieved 28 April 2018.

إنّ إطلالة العالم الإسلاميّ على أهمّ وأخطر المضائق العالميّة يعطيه التفوق الاستراتيجيّ الجيوبوليتيكيّ ما يجعله في موقع محور العالم، ويعطيه القدرة على شلّ الملاحة البحريّة العالميّة والتجارة العالميّة بالنتيجة وقطع إمدادات النفط والغاز عن العالم وتهديد أمن الطاقة، والتأثير بشكل كبير على الصناعة العالميّة المرتبطة بالنفط والحاجة الملحة للغاز. في ظلّ وجود قوى أخرى في العالم لديها مخزون نفطيّ كبير مثل روسيا (بالإضافة إلى النفط تمتلك روسيا أكبر مخزون غاز) وفنزويلا وحتىّ أمريكا (نفط صخريّ)، فإنّ فعل كهذا لن يشلّ القطاعات المرتبطة باستيراد موارد الطاقة بشكل حاسم، إلّا أنّ له أثراً سلبياً كبيراً ممّا يؤثّر على الاقتصاد.

شكّل العالم الإسلاميّ مركزاً جغرافياً رئيساً للموارد، ثمّ الآليّة الإنتاجيّة للسوق العالميّة وتنافس القوى الكبرى خلال المراحل التاريخيّة المتعاقبة، ويعود ذلك إلى ما يتمتّع به هذا الإقليم من إمكانات يمكن إبرازها على النحو الآتي:

يتركّز معظم احتياطيّ الهيدروكربون في العالم الإسلاميّ؛ إذ يشكّل نسبة 69% من الاحتياطيّ العالميّ من النفط و57% من الغاز الطبيعيّ، وتوزّع أهمّ مناطق الإنتاج في الخليج العربيّ ودول جنوب شرق آسيا (ماليزيا وأندونيسيا وبروناي) ووسطها الإسلاميّ وجمهوريات آسيا الوسطى وأذربيجان، فضلاً عن ليبيا والجزائر ونيجيريا والكاميرون في أفريقيا<sup>(1)</sup>.

1 - جدة عبد الرزاق الزهراني. مجلة الرياض. نقلاً عن إحسان أوغلي الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلاميّ. 2010/1/13. العدد 15908 .

ينتج العالم الإسلاميّ 47% من الإنتاج العالميّ من القصدير<sup>(1)</sup>. أمّا من حيث المعادن اللافلزيّة، فتحتلّ الفوسفات المرتبة الأولى من الإنتاج العالميّ، وتعدّ المغرب أهمّ دول العالم الإسلاميّ من حيث الاحتياطيّ، إذ يوجد فيها 70% من موجودات الفوسفات في العالم. يستحوذ العالم الإسلاميّ أيضًا على 21% من مساحات الأراضي الزراعيّة، و3% من مجموع المحاصيل العالميّة، فضلًا عن 40% من مجموع صادرات المواد الخام، موضحًا أنّ معدّل التجارة البينيّة بين الدول الأعضاء في المنظّمة قد ازداد من 14.5% لعام 2004 إلى 17.03% لعام 2010<sup>(2)</sup>.

يملك العالم الإسلاميّ إمكانات كبيرة جدًا ومتنوّعة؛ إذ يضمّ ستّة أنواع رئيسة من المناخات، ما يميّز العالم الإسلاميّ عن البنيات والأقاليم الطبيعيّة الأخرى من العالم؛ إذ ساعد ذلك على خلق تكامل زراعيّ. ويشكّل الإسلام ثاني أكبر دين في العالم. وفقًا لدراسة أجريت في عام 2015، يبلغ تعداد المسلمين 1.8 مليار شخص، ويشكّلون حوالي 24.1% من سكان العالم<sup>(3)</sup>. ما يعطي للإسلام قوّة بشريّة ديموغرافيّة كبيرة جدًا، وهذا العدد مستمرّ في الزيادة، وبحلول عام 2030، سوف يشكّل تعداد المسلمين

1 - أسماء ملكاوي، حالة العالم الإسلاميّ: أرقام ومؤشّرات، موقع الجزيرة نت، 2004-10-3.

2 - مريم التايدي - الرباط، يختزن المغرب 70% من موجوداته في العالم، موقع الجزيرة نت، 2020/12/7.

3 - Why Muslims are the world's fastest-growing religious group. Pew Research Centre. April 2017.

أكثر من ربع عدد السكّان في العالم<sup>(1)</sup>. واللافت نسبة الشباب المرتفعة مقارنةً مع أمم أخرى. إنّ عدد السكّان مهمٌ في قوّة الدولة، فالبلد يعتمد على سكّانه في الزراعة والصناعة والتجارة؛ أي إنّ البلد القليل السكّان، نراه يعتمد كثيراً على الأيدي العاملة الأجنبية في إدارة شؤونه<sup>(2)</sup>، الأمر الذي يؤدي إلى بروز مشكلات اجتماعية وسياسية قد تؤثر في استقرار البلاد. كما أنّ العلاقة بين عدد السكّان وقوّة الدولة، تأتي من خلال تفاعلات معقّدة بين السكّان وقدراتهم على استغلال الموارد الطبيعية المتاحة وتوزيع الثروات والسياسات التنموية التي تستثمر كلّ هذه الإمكانيات وفق أحدث الأساليب العلمية والتقنية، الأمر الذي يحقق اكتفاءً ذاتياً وفائضاً للتصدير، ومن ثمّ يخلق منها قوّة اقتصادية مؤثّرة في المستوى الدولي، وذلك بتوافر حجم سكّاني كبير<sup>(3)</sup>.

1 - Islam Is the Fastest Growing Religion in the World. VOA - Voice of America English News <https://www.voanews.com>. May 7, 2016.

\* يعتبر ألكسندر دوغين في كتابه أسس الجيوبوليتيكا أنّ القوّة البحرية تمثّل الحضارة الحديثة، والقوّة البرية الحضارة التقليدية، وأنّ الهوية الجيوبوليتيكية للقوّة البرية العائد لليابسة والقوّة البحرية العائدة للبحر لهاي أكثر عمقاً وأهميّة من الشكل الإيديولوجي.

2 - حسين، عبد الرزاق عباس، الجغرافيا السياسية: التركيز على المفاهيم الجيوبوليتيكية، ص 337.

3 - السيد حسين، عدنان، الجغرافيا السياسية والاقتصادية والسكّانية للعالم المعاصر، ص 31.

## المطلب الثاني: التيلوروكراتيا & تالاسوكراتيا.

«القانون الأساسي للجيوبوليتيكا هو إقرار الثنائية المنعكسة في التكوين الجغرافي للكوكب الأرضي وفي النمطية التاريخية للحضارات. وهذه الثنائية تعبر عن نفسها في مواجهة «التيلوروكراتيا» أي (القوة البرية) و«التالاسوكراتيا» (القوة البحرية)<sup>(1)</sup>.

ما هي هذه الثنائية «التيلوروكراتيا & تالاسوكراتيا» وما ارتباطها بالإسلام والحكومة العالمية؟

ترتبط «التيلوروكراتيا»، «القوة البرية» بثبوتية المكان ورسوخ توجهاتها وخصائصها النوعية، أما على مستوى الحضارة فيتجسد ذلك بالاستقرار، في الروح المحافظة، في المعايير الحقوقية الصارمة<sup>(2)</sup>؛ أي هي حضارة ثابتة تقليدية تتميز بالتقاليد والقيم والمثل المتوارثة، تعتمد على الجماعة، وتفتقر إلى طابع الحداثة والحركة النشطة.

أما «التالاسوكراتيا»، «القوة البحرية»، فتمثل نمطاً لحضارة تقوم على أسس مغايرة، نمط ديناميكي، نشيط الحركة، ميّال إلى التطور التقني. ومن أولوياته التنقل، وخاصة البحري التجاري، ويعتمد على روح المبادرة الفردية، بينما تحرف المعايير الخلقية والحقوقية لتصبح نسبية متنقلة، ومثل هذا النمط الحضاري يتطور بحيوية وبسهولة، فيبدل مظاهره الثقافية الخارجية، فلا تبقى ثابتة إلا بالتشابه الضمني مع التركيبة العامة<sup>(3)</sup>. أي

1 - دوغين، ألكسندر، أسس الجيوبوليتيكا ومستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، ص 60.

2 - المصدر نفسه.

3 - المصدر نفسه، ص 60-62.



حضارة معاصرة حديثة ماديّة لا تعطي أهميّة للقيم والمثل بقدر ما تعطي أهميّة للحدّات والتطوّر والتجارة العالميّة.

إنّ أغلب التجارب البشريّة التي ذكرت في الجزء الأوّل من هذه السلسلة- وغيرها من التجارب التي لم تذكر على الألب- تتمتّع بهويّة جيوبوليتيكيّة أحاديّة إمّا «تيلوروكراتيا» وإمّا «تالاسوكراتيا». بعبارة أوضح، هناك قوّة يطغى عليها الطابع البرّي في مواجهة قوّة يطغى عليها الطابع البحري، البرّي في مواجهة البحر، أو حضارة البرّ التقليديّة الثابتة مقابل حضارة البحر الحديثة المتطوّرة الماديّة.

«الرؤية الجيوبوليتيكيّة تمثّل أنموذج تطوّر الثنائيّة العالميّة حتّى أحجامها القصوى. اليابسة والبحر يسطان مواجهتهما الأولى على أرجاء العالم كلّه. وما التاريخ الإنسانيّ إلّا تعبير عن هذا الصراع وطريقاً إلى وسمه بالسمة المطلقة. وهذا التعبير الأكثر تعميماً عن قانون الجيوبوليتيكا الأهمّ- قانون ثنائيّة العفويّتين البرّي في مواجهة البحر»<sup>(1)</sup>.

وقد ذكرنا للتوّ أنّ العالم الإسلاميّ على امتداده الواسع يتمتّع، على غير العادة، بثنائيّة هويّاتيّة جيوبوليتيكيّة، تيلوروكراتيا مع تالاسوكراتيا، استثنائيّاً العالم الإسلاميّ قد وحدّ اليابسة والبحر وجمع بين الحضارة التقليديّة القائمة على المثل والمعنويّات والأخلاق والقيم والجماعة، وبين الحضارة الحديثة التجاريّة الماديّة والنشطة الحركة. ولعلّ هذه الثنائيّة الجيوبوليتيكيّة والثنائيّة الحضاريّة تعكس حقيقة الإسلام وحضارته،

1 - دوغين، ألكسندر، أسس الجيوبوليتيكا ومستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، ص 64.

كونه يتمتّع بحضارة تقوم بالأساس على المنظومة الأخلاقية الكاملة والشاملة، وعلى المثل والجماعة، وحضارة تحثّ على العلم والتطورّ والتجارة والحدّاتة أيضاً، فأول آية نزلت على محمّد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾<sup>(1)</sup>، فحثّ الإسلام على طلب العلم والتطورّ، وحثّ على التجارة وبارك بها أيضاً<sup>(2)</sup>. إذًا، الثنائية الحضارية للإسلام بين التقاليد والحدّاتة، المفهوم والمصداق، العلم والقيم الموروثة، المثلّ والتجارة، البعد الميتافيزيقي والبعد المادّي، هذه الثنائيات موجودة في نموذج الإنسان الكامل، في المنظومة الأخلاقية التي تعمل على نصفي الدماغ للعقل البشريّ لتحقيق الوسطية، هذه الثنائية الحضارية تعكس حقيقة الوسطية والتوازن للإسلام، للمنظومة الأخلاقية التي وُجدت لتحقيق هذا التوازن في ذاتية الإنسان ومحتواه لينعكس على سلوكياته.

قدّم دين محمّد النبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم المنظومة الأخلاقية الأمثل للعالم، لتكون نموذجًا استثنائيًا لا مثيل له في التاريخ، وكانت الجغرافيا والهوية الجيوبوليتيكية أحد معالم هذه الاستثنائية الفريدة.

1 - سورة العلق، الآية: 1.

2 - بها «تاجروا بارك الله لكم، فإني سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول: الرزق عشرة أجزاء: تسعة أجزاء في التجارة، وواحد في غيرها، محمّد الريشهري، الخير والبركة في الكتاب والسنة، ص 292.

● الخلاصة:

يعتمد التمهيد الأولي لصياغة نظرية المحور المركزي على أسس تاريخية، وحضارية، وجغرافية، واقتصادية، واستراتيجية وجيوبوليتيكية. كمحصلة يمكن القول: يتمتع العالم الإسلامي بمقومات مميزة منها:

■ التمتع بتاريخ عريق وحضارة عالمية.

■ وجود هوية فطرية قوية عالمية وشاملة.

■ السيطرة على أغلب مضائق العالم المرتبطة بحركة الملاحة البحرية والتجارة العالمية وأهمها، وحركة نقل لمصادر الطاقة.

■ الإطالة على أهم المسطحات المائية العالمية، والقدرة على التأثير على حركة الملاحة البحرية للشحن والتجارة العالمية.

■ يتمتع العالم الإسلامي بقوة بحرية؛ أي حضارة حديثة، تالاسوكراتيا (سيأتي شرحها في البحث التالي).

■ يتمتع العالم الإسلامي بقوة بريّة؛ أي حضارة تقليدية، تيلوروكراتيا.

■ يمتدّ العالم الإسلامي إلى آسيا الوسطى، وهذا يعني إمكانية السيطرة على منطقة آسيا الوسطى والبلقان الأوراسي، ما يعني التأثير الكبير على أوروبا الشرقية، وما يعني إمكانية السيطرة على قلب العالم بالنتيجة (بحسب ماكندر).

■ يمتدّ العالم الإسلامي إلى المناطق الساحلية (Rim land) وهذا يعني إمكانية السيطرة على المنطقة الهامشية، ويعني إمكانية السيطرة على منطقة أوراسيا (بحسب سبايكمن).

■ يتمتع العالم الإسلامي بأمن طاقيّ كبير جدًا.

■ يتمتّع العالم الإسلاميّ بالقوّة البشريّة «الديموغرافيا»، خصوصاً عنصر الشباب.

■ تنوّع الأقاليم والمناخ ما يؤثّر على الأمن الغذائي والتنوّع الزراعيّ.

■ بشرط التوحّد والعمل المركز والموجّه تحت راية الإنسان الكامل مخلصّ البشريّة الإمام المهديّ، عجلّ الله فرجه، ومع اختلاف الأقاليم وتنوّعها وفي ظلّ قوّة بشريّة كبيرة جدّاً، فكلّ هذه المؤشّرات تشكّل ظروفًا جيّدة ومؤاتية لنشوء قوّة عالميّة تحظى بالأسباب الموضوعيّة لتحقيق الريادة في مختلف المجالات العلميّة والاقتصاديّة والصناعيّة والزراعيّة والتكنولوجيّة والعسكريّة.

### تنقسم الأُمّة الإسلاميّة إلى عدّة محاور:

\* هذا التقسيم على أساس القرب الجغرافي من مكّة محور العالم الإسلاميّ.

المحور الأوّل: وهو محور القلب الإسلاميّ، ويشمل شبه الجزيرة العربيّة، العراق، بلاد الشام.

المحور الثاني: وهو محور دول المركز الإسلاميّ، ويشمل إيران، مصر، تركيا.

المحور الثالث: وهو محور دول المجال الاستراتيجيّ الإسلاميّ، ويشمل دول آسيا الوسطى ودول القوقاز وشمال أفريقيا.

المحور الرابع: وهو محور دول المجال الحيوي الإسلاميّ، ويشمل دول شرق وجنوب شرق آسيا ودول أوروبا المسلمة.

المحور الخامس: وهو محور دول الشّتات الإسلاميّ، ويشمل دول العمق والجنوب الأفريقيّ وباقي الدول في القارات الباقية.



**الفصل الثالث:**  
**المشروع العالمي وحتمية الجغرافيا:**

شكّل الشرق الأوسط -قلب العالم الإسلاميّ- على مرّ التاريخ محطّاً أطماع القوى العظمى التاريخيّة والحديثة، فقد شهدت هذه المنطقة صراعات بين أهمّ الإمبراطوريّات، بدءاً بالامبراطوريَّة الفارسيَّة والرومانيَّة، ومن ثمّ بين المسلمين والفرس، والمسلمين والروم، وصولاً إلى الصراعات التي نشهدها منذ عصر الاستعمار إلى يومنا هذا، فالتاريخ يقول: إنّ هذه البقعة الجغرافيَّة شكّلت محوراً للعديد من الحركات العالميَّة، ونقطة انطلاق قويَّة لكلّ من يسعى إلى العالميَّة. ولكنّ ما يهمنا الآن هو البحث فيما هو حديث، لذا سنقف في عجالة عند تجربتيّن تثبتان ما تقدّم بيانه:

### ● أولاً: التجربة الأولى الاستعمار الفرنسيّ والبريطانيّ:

بعد انتهاء الحرب العالميَّة الأولى وسقوط آخر الخلافات الإسلاميَّة الباطلة -السلطنة العثمانيَّة-، أصبح الشرق الأوسط جغرافياً مفتوحةً للاستعمار الفرنسيّ والبريطانيّ -وبعد الفراغ الذي سببه انهيار العثمانيين-، تدرك فرنسا والمملكة المتّحدة البريطانيَّة أهميَّة هذه المنطقة دينياً وجغرافياً وثقافياً وحضارياً، وتدرك أيضاً أنّ أيّ قيام لدولة قويَّة موحدة في هذه الجغرافيا يعني تهديد أوروبا بالحدّ الأدنى حضارياً وثقافياً واقتصادياً؛ لأنّه من المعلوم أنّ أعظم حضارات العالم ظهرت في هذه المنطقة، الحضارة الفارسيَّة في إيران، والفراعنة في مصر، والكنعانيّون والآشوريّون والكلدانيّون في العراق، والآراميون والفينيقيّون في سوريا ولبنان، وطبعاً بالاضافة إلى الحضارة الإسلاميَّة وقوتها الروحيَّة والأخلاقيَّة، إذ تنطلق هذه المنطقة وعلى نحوٍ إستثنائيّ من قوّة حضاريَّة تاريخيّة لا مثل لها

في التاريخ، وهذا يعني أن قيام أي دولة بالاستناد إلى هذا الموروث الحضاريّ الثقافيّ العظيم، يعني قيام دولة قويّة جدًّا، ولا يمكن للدولة التي تقوم على نحو سليم في هذه المنطقة إلا أن تكون قويّة جدًّا. لذا، ومع الأخذ بالاعتبار ما تقدّم بيانه من قبل، كان لابدّ من الجهة المستعمرة -فرنسا والمملكة المتّحدة البريطانيّة- من تدمير هذا الموروث الحضاري والثقافي، نزع الهويّة الحضاريّة والثقافيّة من وجدان وجينات الإنسان العربي المسلم، نزع الهويّة الجماعيّة وتثبيت الهويّة الفرديّة. باختصار، كان لا بدّ من تعرية أو تفرّيق ابن هذه المنطقة من كلّ أسلحته ونقاط قوّته، حتّى يبقى ضعيفًا وغير قادر على النهوض.

ولهذا عمد الاستعمار الفرنسيّ والبريطانيّ، وعلى مدار عقود من الزمن، ترسيخ فكرة الانحطاط الحضاريّ، والتخلّف الإسلاميّ، والحاجة إلى الغربيّ والتقنيّة الغربيّة، ومن ثمّ تثبيت المعايير الغربيّة وقيمه. فهذه المنطقة يجب أن تبقى مقهورةً ومتخلّفة؛ لأنّ الأوروبي يدرك قوّة الإسلام وتأثيره على الإنسان والمجتمع، أضف إلى أنّ الشرق الأوسط وتركيا باعتبارهما خاصرة أوروبا الضعيفة، ولأنّها تملك قوّة حضاريّة ثقافيّة دينيّة قويّة جدًّا ما يضع أوروبا في مركز التهديد إزاء قوّة ناشئة في هذه المنطقة. فالديانة الأكثر شيوعًا بين الأوروبيين هي الديانة المسيحيّة، وهذا بفعل التأثير الثقافيّ والدينيّ من هذه المنطقة على أوروبا؛ لأنّ المسيح هو عربيّ، وبالتحديد عراقيّ كما يقول بعضهم، أو شاميّ كما يقول آخرون، ولكنّ يبقى أنّه ابن هذه المنطقة، وقد انتشر في كلّ أوروبا دينٌ ظهر من هذه المنطقة، والشخصيّة الأكثر قوّة واحترامًا وتأثيرًا في أوروبا وكلّ البلدان

الغربية المسيحيّة، هي شخصيّة تنتمي إلى هذه الجغرافيا، إذًا يجب أن يُنزع من المسيحيّة كديانة، ومن المسيح عليه السلام كصاحب هذه الديانة، طابع الشرق أوسطيّة، يجب أن يُنزع منهم الهويّة المكانيّة التي احتضنت هذا المشروع، وهذا مقصود وهادف. والآن منّ منا عندما تُذكر الديانة المسيحية يتذكّر العرب والمشرقيّين؟ وهذا مقصود من الغربي لنزعه الشرعيّة عن هذه المنطقة، ولإضعاف تأثيرها الحضاريّ والديني والثقافي، وإطلاق صورة نمطيّة متشدّدة متخلّفة لا ترتبط بحضارتها وتاريخها عليها، لكي تبقى محلّ نفور واستهزاء وتنمّر، وتخرج من دائرة الجذب والتأثير العالميّ.

وقد توجّ الاستعمارُ البريطانيُّ بالتنسيق مع الفرنسيّ نشاطه في هذه المنطقة بزرع ريبته إسرائيل بالقوّة، وأحد أهمّ أسباب إصرار بريطانيا تحديداً على المشروع الصهيوني وفرض إسرائيل بالقوّة؛ لأنّ إسرائيل هذه ستعمل على نحو دائم على تخلف العرب والمسلمين وهزيمتهم، وتعزيز الوهم الغربيّ في عقولهم.

ومن دون أن ننسى، أنّه ومع بداية القرن العشرين، بدت بوادر وجود نفط في هذه المنطقة، وهذا يعني أنّ لهذه المنطقة أهميّة اقتصاديّة كبيرة (انظر: تيموثي ميتشل، ديموقراطية الكربون السلطة السياسيّة في عصر النفط)، بالإضافة إلى أهمّيّتها الحضاريّة والدينيّة والثقافيّة، وهذا ما ضاعف من أهميّة هذه المنطقة للبريطانيّ والفرنسيّ.

### ● ثانياً: التجربة الثانية هيمنة الولايات المتّحدة الأمريكيّة:

أكملت الولايات المتّحدة الأمريكيّة وريثة المملكة المتّحدة البريطانيّة



سياسة الهيمنة والتحكّم بالشرق الأوسط، وكان ذلك من خلال الدعم المفرط لابتها إسرائيل، وبتأمين الحماية والدعم المشروط للمملكة العربيّة السعوديّة.

فقد شكّل الشرق الأوسط للولايات المتّحدة الأمريكيّة مطلع الألفيّة الجديدة تحديداً، جغرافياً استراتيجيّة مهمّة للغاية وربما تكون الأوليّة، ويرجع الفضل في ذلك إلى هنري كيسنجر ومن ثمّ زينجو بريجنسكي، حيث توجّحت أمريكا اهتمامها بهذه المنطقة بغزو العراق، (بغض النظر عن بعض الدوافع الأيديولوجيّة التي دفعت الإنجلييين إلى الهجوم على جغرافياً؛ كالعراق باعتبارها أرض الأشرار أو المكان الذي سيخرج منه أو سيعتمد عليه الذي يعدّونه الدجال، وهو في الحقيقة المخلّص الموعود المهديّ الذي يحاربونه ويمنعون خروجه)، لكنّ السيطرة على العراق بالإضافة إلى الهيمنة الكبيرة جدّاً في ذلك الحين على شبه الجزيرة العربيّة، يعني تكييل المنطقة والسيطرة على أهمّ منابع النفط، والسيطرة على أهمّ مضائق العالم ومسارات نقل النفط والشحن التجاري العالميّ.

فمن منتصف القرن العشرين وصولاً إلى بداية القرن الحادي والعشرين، أدّى النفط دوراً سياسياً استراتيجياً جيوبوليتيكياً، واقتصادياً مهمّاً للغاية على المستوى العالميّ؛ لذا شكّل الشرق الأوسط باعتباره أحد أهمّ مصادر النفط -والغاز مؤخراً- في العالم جغرافياً أساسيّة لمن يريد أن يتحكّم بأمن الطاقة العالميّ وبالاقتصاد العالميّ، وقد استفادت الولايات المتّحدة الأمريكيّة من هذه المنطقة، خصوصاً بعد إعلان البترودولار كثيراً في الضغط على أعدائها، لا بل على حلفائها أيضاً كأوروبا واليابان.

وكان من أحد أهمّ معالم الصراع الحاصل مؤخرًا بين القوّة المهيمنة؛ أي الولايات المتحدة الأمريكية والقوّة الصاعدة الصين الشعبيّة، هو صراع على الشرق الأوسط لما يمثّل الشرق الأوسط من أهميّة بالغة - لأسباب ذكرناها في الأعلى-، ولكن قبل ذلك قد يقول أحدهم: إنّ أمريكا لم تعد بحاجة إلى نفط هذه المنطقة، لذلك فلم يعد الشرق الأوسط مهمًا بالنسبة إليها، ولم يعد الشرق الأوسط بتلك الأهميّة كما كان سابقًا.

أقول: صحيح أنّ الولايات المتحدة الأمريكية تملك أكبر مخزون نفطيّ في العالم، وتملك أيضًا أكبر صناعة للنفط الصخريّ في العالم، وبغض النظر عمّا إذا كانت الولايات المتحدة حقًا بحاجة إلى هذا النفط أم لا، لكنّ الأكد أنّ الولايات المتحدة الأمريكية تدرك أهميّة هذه المنطقة، وحاجة أيّ قوّة إقليمية أو عالمية لها، فكيف بالصين المشتري الأول للنفط والغاز في العالم، والتي تُعدُّ مصنع العالم وبحاجة دائمة إلى أسواق جديدة لتعزّز من اقتصادها، وكونها تبحث دائمًا عن بدائل جديدة للولايات المتحدة الأمريكية وربّما بعض الدول الأوروبيّة. وبناءً عليه، فإنّ أيّ تقصير أو أيّ فراغ تتسبّب به الولايات المتحدة في هذه المنطقة خصوصًا، ستملؤه الصين مباشرةً، وهذا ما سيعزّز من قوتها الاقتصادية والسياسية، وستؤثر على أوروبا والولايات المتحدة. فإذا سلّمنا جدلاً أنّ الشرق الأوسط لم يعد مفيدًا لأمريكا، لكنّ أمريكا من المستحيل أن تتخلّى عنه أو تخرج منه طوعًا باختيارها - من دون الظروف القهرية التي تجبرها على التقهقر- لأنّ خروجها هذا ستستغلّه مباشرة قوى أخرى منافسة لها - كإيران وروسيا والصين تحديدًا - وهذا ما سيضعف من قوّة خصوم الولايات المتحدة

الأمريكية وأعدائها، وهذا ما لن تسمح به أمريكا طالما هي قادرة على ذلك؛ لذا فالشرق الأوسط لن يصبح في أي وقت من الأوقات دون أهمية استراتيجية عالمية. ويمكن أن نستدلّ على إثبات هذه القضية بدليل في غاية الأهمية يثبت أهمية الشرق الأوسط للولايات المتحدة الأمريكية، وهي أن أكبر سفارتين في العالم هما: سفارة أمريكا في العراق، وسفارة أمريكا في لبنان، وهي قيد الإنشاء في يومنا الحالي، فإذا كان الشرق الأوسط ليس بهذه الأولوية الكبيرة للولايات المتحدة، فلماذا تملك أكبر سفارتين لها في الشرق الأوسط؟ نعم نفهم اختيارها للعراق، ولكن لماذا تبني اليوم سفارة توازيها في المساحة والعظمة في لبنان إذا لم تعد تهتمّ بالشرق الأوسط، فهذا ليس منطقيًا بل ما هو منطقيٌّ أن الروسي والصيني والأمريكي ستشتدّ صراعهم أكثر، وكلما اشتد صراعهم زاد التنافس على الشرق الأوسط.

وقد بدأنا نشهد مؤخرًا حراكًا صينيًا قويًا جدًا في الشرق الأوسط ودول الجوار، فقد بدأت الصين تترجم قوتها الاقتصاديّة في ميادين السياسة والاستراتيجية، وشرعت أيضًا بملء الفراغ الذي تسبّب به ضعف أمريكا المنهكة والمتعبة أو هرمها، من خلال تعزيز علاقاتها مع السعودية وإيران والإمارات، ورعايتها للاتفاق الإيراني السعودي، وبدء عمليات تصفية الحسابات البنكية خارج دائرة الدولار مع دول الخليج، وتبني شركات اقتصادية معها بالعملات المحليّة، دون أن ننسى إصرار الصين على أن تحظى بموطئ قدم في هذه المنطقة، وقد ترجمت الصين هذه النية في محاولة إنشاء قاعدة عسكرية لها في دولة الإمارات المتحدة.

إنّ الولايات المتّحدة الأمريكيّة لن تختار بإرادتها الخروج من هذه المنطقة مهما كانت الظروف فحسب، بل أيضاً ستحاول بكلّ إمكاناتها المتاحة وقوتها من منع أيّة قوّة منافسة أو عدوّة لها من منافستها على الشرق الأوسط؛ لأنّها تدرك جيداً أهمّيّتها الكبيرة لكلّ من يرغب في السيطرة على العالم، سواءً أكانت الصين أم أيّ قوّة أخرى.

يتّضح بعد هذا البيان المختصر جداً لتجربة استعماريّة مضت، ولتجربة هيمنة وسيطرة ما تزال قائمة من جانب الولايات المتّحدة الأمريكيّة، أنّ السيطرة على الشرق الأوسط قلب العالم الإسلامي بالتحديد، يُعدّ من أهمّ الشروط الموضوعيّة للسيطرة والهيمنة العالميّة.

وهنا تجدر الإشارة إلى ملاحظة في غاية الأهمّيّة، كثر الحديث في السنوات الأخيرة حول أهمّيّة مضيق تايوان، وخطورته بسبب النزاع المجرّد بين الصين وتايوان منذ نصف القرن العشرين إلى اليوم، وتعهد الولايات المتّحدة الأمريكيّة بحماية تايوان، وقد صدرت بعض الدراسات والنظريّات التي تقول: إنّ من يحكم مضيق تايوان يحكم العالم.

أقول: إنّ هذا الكلام الوارد عن أهمّيّة تايوان وتأثيره العالميّ صحيح، وما أردته من التطرّق إلى هذه القضية، هو فقط أنّ أقدم مثلاً على أهمّيّة جغرافيا معيّنة، ولكنّ المفارقة أنّ هذه الأهمّيّة هي أهمّيّة ظرفيّة مؤقتة ليست دائمة، فقد نجد على مرّ العصور أنّ جغرافيا معيّنة غير المثل المذكور تواءم، كانت تحظى بأهمّيّة كبيرة جداً، وكانت تشكّل شرطاً موضوعياً للعالمية، ولكنّ ما أريد أنّ أقوله الآن هو أنّ أهمّيّة مضيق تايوان وتأثيره العالميّ ليس بسبب جغرافيته بقدر ما هو مرتبط بظروفه السياسيّة المؤقتة، بمعنى

لو سلّمنا جدلاً أنّ هذا الصراع القائم في تلك الجغرافيا انتهى بأيّ شكل من الأشكال، هل سيبقى مضيق تايوان يحظى بتلك الأهميّة العالميّة العظيمة؟ حتماً لا؛ لأنّ السبب الذي جعل منه محط أنظار العالم انتهى. وهنا نأتي إلى الفكرة المهمّة، وهي أنّ أهميّة الشرق الأوسط الاستراتيجيّة والجيوبوليتيكيّة ليست منبثقة من أسباب ظرفيّة، مؤقتة، سياسيّة عابرة، لا أبداً؛ بل إنّ أهمّيّتها دائمة، تاريخيّة، حضاريّة ثابتة كثبات الحضارة البريّة وثبات الدين.

لننظر مثلاً إلى قارة أوروبا أو أمريكا أو أفريقيا، فقد مرّت بحقبات مختلفة صعوداً وهبوطاً من جهة التأثير والأهمّ على مرّ التاريخ البشريّ، لكنّ قارئ التاريخ، إذا أراد أن يطلع على تاريخ أيّ قوى عظمى، سيجد أنّ للشرق الأوسط أهميّة أو دوراً مهمّاً فيها، سواء من ناحية التأثير والهيمنة أم من ناحية أنّها جغرافيا يجب السيطرة عليها. هنا نفهم أنّه من الصعب جدّاً أن نجد جغرافيا على هذا الكوكب تحظى بنفس الأهميّة والقوّة على مرّ التاريخ البشريّ كلّها كما تحظى منطقة الشرق الأوسط؛ لذا فليس من المنطقيّ أن يُقاس ما هو ظرفيّ ومؤقت من حيث الأهميّة والقوّة بما هو دائم، فالشرق الأوسط كان منذ آدم عليه السلام ومازال إلى يومنا هذا الجغرافيا الأهمّ والأقوى في العالم حتّى لو نافسته على هذه المكانة جغرافيا أخرى، ولكنّ الحتميّ أنّه ثابت مع تغيّر التاريخ.

من اللافت للنظر أنّ السلوك الرامي إلى السيطرة والهيمنة من جانب فرنسا وبريطانيا من جهة، والولايات المتّحدة الأمريكيّة من جهة أخرى، وحتّى إذا أضفنا إلى تلكما التجربتين تجربة الاتحاد السوفيتي الذي كان

يشغل منطقة إيران وأذربيجان وآسيا الوسطى، هو سلوك مشترك، بمعنى أنّ القوى العظمى تعتمد مبدأ فرق تسد، فتقسم المناطق عرقياً، مذهبياً، دينياً، حتّى تضمن استمرار الصراعات الحدوديّة، وتضمن تدخلها الدائم لحلّ النزاعات، ولتضمن أيضاً انشغال أهل المنطقة فيما بينهم. إذاً، هذه هي الطريقة التي اعتمدها المستعمر أو الجهة التي تسعى للهيمنة لرسم الحدود الجغرافيّة لتقسيم المناطق المتعايشة منذ قدم التاريخ، ويظهر هذا جلياً مثلاً في قضية كشمير بين الهند وباكستان (بريطانيا)، وفي قضية ناغورنوا كاراباخ بين أذربيجان وأرمينيا (الاتحاد السوفيتي)، والأكراد مؤخراً في العراق وإيران وسوريا وتركيا، والدور الذي تحاول أمريكا تحفيزهم عليه في المنطقة تحت مسمى حقوق الأقليات الكرديّة.

إذاً، نستنتج أنّ القوى العظمى على الأقلّ الحديثة منها، وفي سعيها للسيطرة والهيمنة، تقسم الجغرافيا وتقسّم الشعوب، تفصل الجغرافيا عن بعضها، وهذا ما أبدعت فيه بريطانيا وفرنسا في منطقتنا. ما أريد أن أقوله الآن، هو أنّه إذا كان السعي للهيمنة على المنطقة يستلزم التقسيم والفصل فيما بينها لتطبيق فرق تسد، فإنّ نشوء قوّة إسلاميّة ابتداءً من هذه المنطقة، يستلزم ربط الجغرافيا فيما بينها وكسر الحدود ودمج كلّ الشعوب مع بعضها، وهذا هو جوهر ما سُمّي حديثاً بالجغرافيا الاتّصاليّة أو الوظيفيّة. ومن المهمّ جدّاً أن نشرح ولو باختصار هذا التفرّع الجيوبوليتيكيّ الجديد.

### ● ثالثاً: الجغرافيا الاتّصاليّة الوظيفيّة:

إنّ غاية الجغرافيا الاتّصاليّة تعزيز الروابط بين المجتمعات والثقافات

من خلال سلاسل التوريد والشبكات بين الدول؛ لنقل الموارد والبضائع والمال والناس والمعلومات والطاقة والأفكار.

تشكّل البنية التحتية الضخمة أحد أهم أسباب الاتصال الجغرافي بين الشعوب، وهذه البنى التحتية العابرة للحدود السياسية والجغرافية هي التي تنظّم العالم -بحسب خانا-، فالعالم الواقعي مؤلّف من هذه «الروابط الوظيفية»: «الحدود تخبرنا عن الجغرافيا السياسية، أما البنى التحتية تخبرنا من متصل بمن عبر «الجغرافيا الوظيفية» التي تصبح أهم من الجغرافيا السياسية»<sup>(1)</sup>.

يرى «خانا» أنّ «الجيو-اتصاليّة» تغيّر إدراكنا لما يشكّل «الأقاليم الطبيعية»، فتصبح سلاسل التوريد والاتصاليّة، لا السيادة والحدود، هما المبدآن الناظران للإنسانية في القرن الحادي والعشرين. ومن ميزة هذه الشبكات هي ما تمثّله من مصالح هائلة مستدامة من الصعب تفكيكها؛ نظراً لما يبذل فيها من موارد واستثمارات. يضاف إلى ذلك أنّ هذه البنى التحتية العابرة للحدود، لديها شرعية لكونها قد حظيت بالموافقة الثنائية، وبُنيت بما يجعلها أكثر حقيقيّة فيزيائياً من القانون والدبلوماسية<sup>(2)</sup>.

يكمل «خانا» تحليله بتقصّي التحوّلات في مفهوم القوّة والجيوبوليتيك

1 - (Khanna, Parag. Connectography Mapping the Future of Global Civilization. P.22 - 23).

2 - (Khanna, Parag. Connectography Mapping the Future of Global Civilization. P30).

وعناصرهما، فعندما نرسم «الجغرافيا الوظيفية»، فنحن في الواقع نضع خرائط الروابط (لا الحدود) التي تجري من خلالها ممارسة القوة وممارسة النفوذ. فالقوة الأكثر اتصالية وسيطرة على خطوط النقل والتجارة والبنى التحتية العابرة للدول، هي الأكثر نفوذاً في النظام الدولي، لا تلك التي تحتل الأرض كما في الجيوبوليتيك التقليدية. بالتالي، فإن أي قوة لن تصبح قوة عسكرية كبرى إلا بعد أن تصبح قوة كبرى في سلاسل التوريد، فتوازن الابتكار يقود توازن القوى وليس العكس. وهذا ما يسميه الكاتب «جيوبوليتيك سلاسل التوريد»، حيث السيطرة على هذه السلاسل أهم بما لا يُقاس من السيطرة على مساح المعارك التقليدية<sup>(1)</sup>.

إنّ بناء شبكات للاتصال والتواصل بين شعوب هذه المنطقة، سيعزز المصالح المتبادلة ومن الإحساس بالهوية المشتركة، ويوسّع دائرة الكتل الاجتماعية التي تنتسب إلى هذا المشروع داخل كل دولة. يرى «خانا» أنّ هذا زمن «تحالفات البنى التحتية»، إذ قوة الروابط تُقاس برسم خرائط الاتصالية بين مجموعة الدول وحجم التدفّقات على هذه الخطوط. في المحصّلة، لا يتّصل الأفراد ببعضهم من خلال السياسة، بل عن طريق السوق والإعلام.

إذاً فالجغرافيا الاتصالية هي اتفاق نفعي يعقد بالتوافق بين دولتين

---

1 - (Khanna, Parag. Connectography Mapping the Future of Global Civilization. P29).



أو أكثر بما يتناسب مع منافعها الاقتصادية والتكنولوجية والصناعية والعلمية والاجتماعية، لنتج العولمة المفرطة من خلال زعزعة مفهوم المواطنة القومية في مقابل المواطنة الاتصالية، بحيث إن الجماعات المنتمية لدول مختلفة الأكثر اتصالاً فيما بينها، تحقق مصداق المواطنة أكثر من الجماعات المنتمية إلى الدولة نفسها التي هي الأقل اتصالاً وتفاعلاً.

ومن أهم مشاريع الربط الجغرافي التي يعمل عليها، مبادرة الصين بعنوان «الحزام والطريق» (BRI)<sup>(1)</sup>؛ إذ تبنى النظرية على أن إعادة تنظيم العالم الجديد سيتم وفقاً لشبكات التجارة والمعلومات، وأن طرق النقل ستعيد ترتيب توازن القوى على المستوى الإقليمي والعالمي. وفي مقابل المشروع الصيني «الطموح» الرامي إلى تثبيت موطئ قدم على الساحة العالمية بين القوى العظمى، يظهر مشروع بقيادة الدول السبع (G7) تحت مسمى<sup>(2)</sup> Partnership for Global Infrastructure and Investment (PGII)؛ إذ تسعى الولايات المتحدة بالاشتراك مع المملكة المتحدة وفرنسا

---

1 - (Lily Kuo and Niko Kommenda, What is China's Belt and Road Initiative? <https://www.theguardian.com/>).

2 - (JOSEPH R. BIDEN JR. Memorandum on the Partnership for Global Infrastructure and Investment. THE WHITE HOUSE. <https://www.whitehouse.gov>. Elizabeth C. Losos and T. Robert Fetter, FUTURE DEVELOPMENT. Building Bridges? PGII versus BRI Thursday, September 29, 2022. <https://www.brookings.edu/>).

وألمانيا وإيطاليا وكندا واليابان إلى مواجهة المشروع الصيني من خلال بناء حزامها الجغرافي الخاص بها<sup>(1)</sup>.

### أقول:

بغض النظر عن المحرك المادي الذي يتجلى دائماً في كل ما يصدر عن إنسان الحضارة المادية- إذ إنّ المنفعة (اقتصاد، موارد) هي المحرك الأول للاتصال بين الشعوب والجماعات-. ما نريده من هذا البحث هو تسليط الضوء على أهمية التواصل بين الشعوب؛ لما لهذا التواصل من فوائد كبيرة على الشعوب؛ لأنّ «الناس أعداء ما جهلوا»، فكلّما زاد الاتصال والتشابك بين الشعوب، خفّت الكراهية وتقلّص حجم الفروقات الظاهرية التي تُستغلّ في كثير من الأحيان لشرعنة الصراعات الهوياتية والحضارية. وبناء عليه، إذا كان للجغرافيا الاتصالية والوظيفية هذا القدر الكبير من الأهمية على الجماعات المختلفة، فكيف يمكن لهذه الاتصالية والوظيفية أن تؤثر على الارتباط بين الجماعات التي تشترك بثقافة فطرية موحدة؟ فإذا كانت النفعية المادية محركاً يدفع نسبياً الجماعات المختلفة ثقافياً وهوياتياً إلى التقارب ونبذ الخلافات والفروقات لأجل المنفعة والاقتصاد، فإنّ الثقافة الفطرية الموحدة والهوية المشتركة تملك من القدرات على

---

1 - VALERIO FABBRI, the new infrastructure programme initiated by the G7 – the PGII – going to successfully counter or end the dominance of China's Belt and Road Initiative (BRI)? 302022/08/Is. <https://www.geopolitica.info/>.

تحريك ذاتية الإنسان أضعافاً مضاعفة من المحرك النفعي لأجل الاتصال بين الجماعات والأمم على الكوكب كله. فعندما يكون الاتصال بين الجماعات لا لأجل المنفعة التي قد تكون في بعض الأحيان عائقاً أمام الاتصال عندما تنتفي المنفعة، قد تكون المنفعة سياسية أحياناً كالهيمنة مثلاً وليست اقتصادية فقط - التي تمثل الغاية الأساس، إنما لأجل عمارة الأرض، وتوحيد الإنسانية في إطار عالمي واحد خاضع لسيادة واحدة لا غير، سيادة المطلق، عندها يكون هذا المحرك الذاتي الفطري دافعاً للاتصال والتواصل بين النوع الإنساني كله من دون محركات ودوافع مادية قد تكون في كثير من الأحيان عاملاً لعدم الاتصال أو سبباً للهيمنة والإقصاء والتقسيم كنتيجة حتمية بديهية لما سينتجه العقل النفعي المادي الاختزالي التقسيمي.

إذاً، إن غاية الجغرافيا الاتصالية والوظيفية لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال تهيئة الأسباب الموضوعية، ولا تنحصر الأسباب الموضوعية للاتصال النوع الإنساني بالمنفعة (السياسية والاقتصادية والعلمية والصناعية الخ...)، إذ إن هذا النوع الإنساني هجين يجمع بين التراب والروح، بين الأرض والسماء، ولا يمكن للمحرك المادي حصراً دون السماوي أن يشكل محركاً فعالاً يدفع الإنسان إلى الكدح في سبيل إنجاز غاية معينة؛ لأن هذا المحرك لكي يكون فعالاً، يجب أن يكون من نفس سنخية النوع الذي يريد أن يؤثر عليه، أن يحركه. ولما كان الإنسان نوعاً هجيناً، كان لا بد من المحرك الذي يدفع بالإنسان نحو التطور والتكامل أن يتمتع بالسنخية نفسها للنوع المرجو التأثير عليه؛ لذا كان لا بد من المحرك الذي يدفع

بهذا النوع إلى الاتصال أن يتمتع بطابع سمائي غيبي على نحو أساسي، وطاقع نفعي مادي. لا بد لهذا المحرك أن يكون مرتبطاً بالغيب، بالوحي، والذي يحقق هذا الشرط الأساسي في المحرك الذاتي للإنسان، هو تلك المنظومة الأخلاقية الإسلامية التي ستقدم للنوع الإنساني مجتمعا ثقافة تتناسب وتكوينه الداخلي وهويته الفطرية، ليشكلا محركا فعالا للنوع الإنساني الذي تفرض عليه السماء عمارة الأرض تحت السيادة الإلهية؛ ليكون هذا النوع قد أنجح المشروع الإلهي بعمارته للأرض بعد أن تكامل ليكون خليفة لله على الأرض.

وقد يدور في أذهان البعض أنه لماذا تم الاختيار الإلهي لهذه البقعة الجغرافية لأهم حركات الأنبياء؟ ولماذا دائما تسعى كل القوى العظمى إلى السيطرة على محور العالم؟ ولماذا تستنطق الحركة التغييرية العالمية للإمام المهدي سلام الله عليه من هذه الجغرافيا؟

وقد يطرح بعضهم أيضا أنه أليس من الأفضل أن تنطلق هذه الحركة العالمية التغييرية من جغرافيا أكثر تحضرا وأكثر تقدما وتطورا؟ وبغض النظر عن معيار التحضر والتطور الذي على أساسه يُنسب التحضر والتقدم إلى حضارة دون الأخرى، وبغض النظر عن وعي إنسان ومجتمع تلك الجماعات «المتحضرة»، إلا أن ما يهمننا من هذا البحث، كل ما هو مرتبط حصرا بالجيوبوليتيك. ومن الواضح أن الدولة سواء أكانت ناشئة حديثا أم قديمة العهد تتأثر على نحو كبير بمقوماتها الجيوبوليتيكية؛ فروسيا أو سويسرا مثلا تتمتعان بمقومات جيوبوليتيكية سيئة، مما يُضعف من قوتها ومن قدراتها وتأثيرها السياسي والاقتصادي

أيضاً، في حين تتمتع أمريكا مثلاً بمقومات جيوبوليتيكية قوية جداً، وهو ما يعزز من قدرة تأثيرها وقوتها. ومن هنا نفهم أن المقومات الجيوبوليتيكية تؤدي دوراً مهماً جداً في تعزيز قوة الدولة. وقد اتضح لنا، بناءً على الشرح المذكور فيما سبق، أن العالم الإسلامي كلاً، العالم الإسلامي وحدة جغرافية واحدة، يتمتع بأقوى مقومات جيوبوليتيكية في الكوكب.

إن نظرية عودة المخلص العالمي، تُطرح من جانب عدد كبير من الديانات والمذاهب، سواءً أفي الشرق الأوسط أم في الهند والصين أو غيرها. وإذا نظرنا إلى قضية عودة المخلص من منظور جيوبوليتيكي، يتضح لنا أن المخلص الوحيد الذي سيتمتع بالمقومات الجيوبوليتيكية الأقوى، هو المخلص الذي سيخرج من منطقة الشرق الأوسط. وإذا نظرنا في الروايات الواردة في الموروث الشيعي تحديداً، سنجد أن المخلص الذي تؤمن به الشيعة الإمامية محمد ابن الحسن المهدي، عجل الله فرجه الشريف، سيخرج من عمق العالم الإسلامي «مكة»، وسيتجه بعد ظهوره الشريف مباشرة إلى العراق، ليسيّط في بداية حركته على الشرق الأوسط المتمثل في شبه الجزيرة العربية، والعراق، وبلاد الشام، بالإضافة إلى إيران وربما مصر وتركيا، وهذا ما سيّيح له، عجل الله فرجه الشريف، أن يسيطر على مفصل قارات العالم القديم، وسيّيح له سلام الله عليه أيضاً أن يسيطر على سائر العالم الإسلامي انطلاقاً من سيطرته على الشرق الأوسط، ومن يسيطر على العالم الإسلامي يسيطر على العالم، وإليك القاعدة الجيوبوليتيكية الآتية:

■ مَنْ يَحْكُم قَلْبَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ (المحور الأوّل والثاني) يَحْكُم الْعَالَمَ الْإِسْلَامِيَّ.

■ وَمَنْ يَحْكُم الْعَالَمَ الْإِسْلَامِيَّ يَحْكُم جَزِيرَةَ الْعَالَمِ.

■ وَمَنْ يَحْكُم جَزِيرَةَ الْعَالَمِ يَحْكُم الْعَالَمِ.

إِنَّ مَتَابِعَ الْحَرَكَةِ الْجُغْرَافِيَّةَ لِلإِمَامِ الْمَهْدِيِّ (عج) بَعْدَ ظَهْوَرِهِ، سَيَجِدُ أَنَّ حَرَكَتَهُ، سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِ، تَنْقَسِمُ إِلَى مَرَحَلَتَيْنِ، الْمَرَحَلَةَ الْأُولَى: هِيَ السَّيْطَرَةُ عَلَى الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، وَالْمَرَحَلَةَ الثَّانِيَةَ: هِيَ السَّيْطَرَةُ عَلَى الْعَالَمِ، وَالْمَرَحَلَتَانِ لَيْسَتَا بِمَعزَلٍ عَنِ بَعْضِهِمَا بَعْضًا، بَلْ هُنَاكَ تَكَامُلٌ بَيْنَهُمَا، وَمَا نَقْصِدُهُ بِالتَّكَامُلِ هُوَ أَنَّ السَّيْطَرَةَ عَلَى الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ سَتَشُلُّ الْغَرْبَ عَلَى نَحْوِ كَبِيرٍ، وَسَتَشُلُّ الْاِقْتِصَادَ الْعَالَمِيَّ، وَسَيَهْدُدُ الْأَمْنَ الْغِذَاءَ الْعَالَمِيَّ، وَأَمْنُ الطَّاقَةِ الْعَالَمِيَّ، وَهَذَا مَا سَيُخْضَعُ الْعَالَمُ بِأَسْرِهِ لِلدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَهْدَوِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْعَالَمَ أَجْمَعَ، وَالْغَرْبَ تَحْدِيدًا، سَيَكُونُ فِي مَوْقِعِ الضَّعِيفِ وَالْمَحْتَاجِ لِلْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ الْأَقْوَى الْمَسِيطِرِ عَلَى أَهَمِّ مَضَائِقِ الْعَالَمِ، وَالْمُسْطَحَاتِ الْمَائِيَّةِ، وَهَذَا مَا سَيَشُلُّ الْاِقْتِصَادَ وَالْمَلَاخَةَ الْبَحْرِيَّةَ، وَسَيُخْضَعُ الْعَالَمُ أَجْمَعَ، وَخُصُوصًا الْغَرْبَ، لِلجِهَةِ الْأَقْوَى؛ أَيِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ. وَإِذَا أَخَذْنَا بَعِينَ الْاِعْتِبَارِ طَبِيعَةَ الْهُيُوءَةِ الْعَالَمِيَّةِ وَالشَّامِلَةَ الْمَقْدَمَةَ مِنَ الْإِمَامِ، عَجَّلَ اللَّهُ فَرْجَهُ الشَّرِيفَ، وَطَبِيعَةَ الْحَضَارَةِ الَّتِي تَتَمَحَوَّرُ حَوْلَ الْإِنْسَانِ وَتَسْعَى إِلَى صِنَاعَتِهِ وَبِنَائِهِ لِيَكْدَحَ لِلَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهَذَا مَا سَيُعْطِي جَازِيَّةً كَبِيرَةً لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ الْقَوِيَّةِ وَالْمَسِيطِرَةِ، فَالْقُوَّةُ سَتَمْنَعُ الطَّوَاغِيتَ مِنَ الْاِعْتِدَاءِ، لَا بَلْ سَتُخْضَعُهُمْ، أَمَّا النَّمُودَجُ الْحَضَارِيُّ الْإِنْسَانِيُّ الْمَقْدَمُ مِنَ الْإِمَامِ، سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَسَيَكُونُ كَفِيْلًا بِأَنَّ يَجْذِبُ كُلَّ إِنْسَانٍ؛ لِأَنَّ نَمُودَجَ الْإِمَامِ يَتَمَاشَى

مع الفطرة الإنسانيّة، وهذا ما سيلائم الإنسان الهندي والصيني والروسي والأوروبي واللاتيني والأفريقي وغيرهم، فالقوّة لا تواجهه إلا بالقوّة، ولطالما استخدمت القوّة لتحريف الحقيقة ومنع الناس من الانجذاب إلى الحقّ المتمثّل في الأنبياء والأوصياء، وهنا تأتي القوّة لتمنع الطواغيت من منع الناس من الانجذاب إلى الحقّ وتشويه الحقيقة.

وموضوع الإنسان وفطرته ليسا بعيدين عن الجيوبوليتيك، فمن الجليّ أنّ التراب مكوّن أساسيّ للإنسان، وبناءً عليه هل يمكن النظر إلى هذا النوع الإنسانيّ الهجين على أنّه عنصر مهمّ في مجال الجيوبوليتيك؟ وهذه النقطة بحاجة إلى بعض المعالجة، فأقول:

يعدّ فيدال دي لابلانش أنّ العلاقة بين التربة والإنسان موسومة في فرنسا بالطابع المميّز للقدم والتواصل (...)، فكثيراً ما يستوقف انتباهنا أنّ الناس في بلادنا يعيشون في الأماكن نفسها منذ أقدم العصور، فالينابيع والصخور الكلسيّة اجتذبت البشر منذ البداية كأماكن ملائمة للعيش والاحتماء. فالإنسان عندنا تلميذ التربة الوفيّ، ودراسة التربة تساعد على توضيح طباع السكّان وأمزجتهم وألويّاتهم<sup>(1)</sup>.

ويرى دي لابلانش أنّ العلماء الجيوبوليتيكيّين أمثال راتسيل وأتباعه يبالغون على نحو واضح في تقويم العامل الطبيعيّ؛ إذ يعدّونه عاملاً محدّداً، من دون إعطاء الإنسان أيّ قيمة جيوبوليتيكيّة؛ ذلك أنّ الإنسان في رأي لابلانش يُعدّ بدوره «عاملاً جغرافياً مهماً» إلاّ أنّه فوق ذلك «مميّز

1 - (Vidal de la Blanche. Panneau Géographique de la France.).

بالمبادرة»، فهو ليس جزءاً من الديكور فقط، بل هو الممثل الأهم في المسرحية<sup>(1)</sup>.

وهذا الانتقاد للتهويل المتعاضم للعامل المكاني عند راتسيل، دفع لابلاش إلى طرح نظرية جيوبوليتيكية خاصة هي «البوسيلزم» - وتعني الممكن - . وللتاريخ السياسي، انطلاقاً من هذه النظرية، أفقان: مكاني (جغرافي) وزماني (تاريخي). ينعكس العامل الجغرافي في الوسط المحيط، والتاريخي في الإنسان نفسه (صاحب المبادرة). وقد رأى لابلاش أنّ خطأ الجيوبوليتيكيين الألمان يعود إلى كونهم يعدّون السطح الأرضي عاملاً حاسماً في التاريخ السياسي للدول. وبهذا يُنتقص برأي لابلاش من عاملين: الحرية الإنسانية، وعامل التاريخية. أمّا هو، فيقترح النظر إلى الوضع المكاني الجغرافي على أنه «احتمال» أو «إمكانية» يمكن أن تفعل لتغدو عاملاً سياسياً حقيقياً، ويمكن ألا تفعل، وهذا ما يرتبط إلى حدود بعيدة بالعامل الذاتي بالإنسان، ساكن ذلك المكان<sup>(2)</sup>.

إذاً، فصناعة المحتوى الداخلي الإنساني - كعامل مؤثر على حركة التاريخ - يُلقى ظلاله ليس على البعد الأخلاقي والقانوني والاجتماعي للدولة فحسب، بل تؤثر هذه الصناعة على البعد الاستراتيجي والجيوبوليتيكي أيضاً، لذلك كانت هذه الصناعة للمحتوى الإنساني من خلال المنظومة

1 - (دوغين، ألكسندر، أسس الجيوبوليتيكا مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، ص 102).

2 - (دوغين، ألكسندر، أسس الجيوبوليتيكا مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، ص 103).



الأخلاقية المثلى المقدمة من الإمام المهديّ، سلام الله عليه، ضامنة للحرية الإنسانية الفطرية والحفاظة للإرادة الحرة، وتقدّم إنساناً حرّاً - لا خاضعاً لغرائزه ومنفعته - يحرك التاريخ والجغرافيا بغاياته وإرادته، ليكون هذا الإنسان الركن الاستراتيجيّ الأهمّ للدولة. وهذا ما يتناسب تمامًا مع الطبيعة الترابطية للنظام الكونيّ، إذ لدى الإنسان الأسباب الموضوعية الكامنة في فطرته التي تخوّله أن يكون محور هذا الكون ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (سورة الأحزاب، الآية 72).

ومن هنا نفهم أنّ الذي يقدّم النموذج الأكثر ملاءمة للإنسان والفطرة الإنسانية، هو الذي سيحظى بالقوة الجيوبوليتيكية الأقوى، وهذا ما سيضع الدولة الإسلامية المهدوية في الصدارة العالمية.

تعدّ المقومّات الجيوبوليتيكية من أهمّ الأسباب الموضوعية لقيام دولة قويّة مهيمنة وعالمية، وبما أنّ المخلّص الذي سيظهر لا بدّ أن يحظى بالأسباب الموضوعية لتأسيس دولة عالمية، فلا بدّ للمخلّص أن ينطلق من قلب العالم الإسلاميّ، وعليه الاختيار الإلهيّ لبدء مشروع إقامة الدولة العالمية يتماشي والأسباب الموضوعية الجيوبوليتيكية التي تحتاجها الدولة؛ لذا كان الاختيار الإلهيّ لجغرافيا الشرق الأوسط، ليحتضن عمق العالم الإسلاميّ انطلاق المشروع العالميّ، ولا يمكن لأيّ جغرافيا أخرى أن تحتضن مشروعاً بهذا الحجم، كما هي حال مكّة والمدينة والنجف وكر بلاء.

إنّ الاصطفاء الإلهيّ لا ينحصر فقط في الإنسان، بل أيضاً يشمل

الجغرافيا، بمعنى أنّه كما أنّ الله سبحانه وتعالى يصطفي إنساناً معيّنًا ليحمّله أمانة أو رسالة، ليوكل إليه إنجاز مهمّة، يصطفي أيضًا جغرافيا لتحتضن الإنسان المُصطفى، أو المشروع والمهمّة الموكلة إليه من الله سبحانه وتعالى، وقد اصطفى تعالى الشرق الأوسط، العراق على الأخصّ، وتحديدًا الكوفة منه لتكون القلب الجغرافي لمشروع الاستخلاف الإلهيّ للنوع الإنسانيّ على وجه الأرض. إنّ من أهمّ صفات العلم هي الكاشفيّة؛ أي إنّ العلم يكشف قضية مبهمّة، وقد حاولنا في هذه الدراسة المتواضعة أن نكشف المميّزات التي تتمتع بها هذه الجغرافيا لنذكر أهمّيّتها وقيمتها حتّى حظيت بهذا الاهتمام الإلهيّ الذي خولّها، بعد أن حققت الأسباب الموضوعيّة، أن تُصطفى. ولهذه الأسباب وربما غيرها، سينطلق الإمام المهديّ، سلام الله عليه، بمشروعه العالميّ من الحجاز ومن ثمّ العراق، ليحكم بعدها العالم أجمع من بيته في الكوفة.

إذًا، فالإنسان بما هو كائن يُعدّ من أهمّ المقدرات الجيّوبوليتيكيّة للدولة، وهذا ما سيفتح لنا البحث في المجال الإنسانيّ من زاوية أخلاقيّة جيّوبوليتيكيّة، أو ما سنطلق عليه اسم الجيّوبوليتيك الأخلاقي.



**الفصل الرابع:**  
**جيوبوليتيك الأخلاق: العالمية بحاجة**  
**لإنسان عالمي ومجتمع عالمي**

● أولاً: محورية الإنسان في صراع الحق والباطل:

إنّنا نؤمن أنّ حركة التاريخ البشريّ مرتبطة بشكل أساسيّ بالصراع بين الحقّ والباطل، بين الأنبياء والرسل والأولياء والأئمّة في مواجهة الطواغيت والظلمة والأباطرة. وأحد أهمّ معالم هذا الصراع وإحدى زوايا الرؤى، الصراع على صناعة الإنسان، كلّ حسب فلسفته وغايته.

إنّ الصراع الأساسيّ يكمن في جعل الناس يختارون النموذج الذي يتناسب مع ذاتيّتهم، ما يلزم هذا الصراع العمل على إعادة صياغة الذاتيّة الإنسانيّة ومحاولة تغيير الفطرة الإنسانيّة بما يتناسب مع طبيعة النموذج المقدّم، والذي بطبيعة الحال يشكّل المخدّر الفعّال للسلطة التي ستحقّق ما تطمح إليه من أطماع في ظلّ تخدير إنسانها بذلك النموذج.

فالصراع بين الحقّ والباطل ليس صراعاً عسكرياً، سلطوياً، إنّما هذا ما يطفو على السطح، ما نراه ظاهرياً هما هذان الشكلان من الصراع، أمّا الصراع الحقيقيّ والأساسيّ، الصراع الذي يحرك ويُنشئ الصراعات الأخرى، هو الصراع على تغيير ذاتيّة الإنسان، حرف فطرته السليمة، سحب كلّ ما هو قيميّ وأخلاقيّ، لما تشكّله القيم والأخلاق من أطر وقيود تسيطر على الغريزة والمنفعة، وبذلك يصبح الإنسان الفارغ من كلّ ما هو قيميّ وأخلاقيّ، كائنًا لا يملك الإرادة والاختيار أمام ما تمليه عليه شهوته - وهذا ما أنتجته الحضارة الماديّة تحت عنوان الإنسان الحرّ-، والعمل على تحجيم رؤيته الاجتماعيّة والكونيّة في حدود الواقع الموجود المحدود الذي يتحكّم به الطغاة.

إنّ تجاوز الإنسان والمجتمع حدود هذا الواقع، يعني انهيار السلطة

الفرعونية، فالأمر لا يتعلق بمجرد صناعة إنسان راضخ، بل صناعة مثل أعلى ورسم مساره التكاملي الذي يُنتج مثل هذا الإنسان الراضخ والعاجز عن التفكير بالحرية التي تقضي على السلطة الفرعونية، وتقديم رؤية اجتماعية وكونية للإنسان يكتفي بحدود الواقع، وتحول دون رفضه للنموذج المقدم من السلطة للمحافظة عليها.

والطريقة المثلى لتحقيق ما تقدم ذكره، يكون في إفراغ الإنسان من القيم الإنسانية، من الأخلاق، وتعزيز كل ما هو مادي، كل ما هو مرتبط بالقوة، من خلال الترهيب والترغيب، ما يعزز من هيمنة المادة والقوة والمنفعة التي تتناقض مع كل ما هو قيمى وأخلاقي، وأن هذا الإقصاء لكل ما هو أخلاقي وقيمي، وهيمنة كل ما هو مادي وغرائزي ونفعي، هو الضامن لاختيار الإنسان للنموذج المقدم من السلطة الفرعونية، وأن هذا الاختيار هو أيضاً الضامن للحفاظ على الحكم الطاغوتي بعد نجاح النموذج في المهمة التي وُجد لأجلها، ألا وهي تخدير الشعوب وإلهائها في المنافع المادية والغرائز الحيوانية.

فالذي ينظر إلى الحركة البشرية على الساحة التاريخية من زاوية الصراع الأساسي بين الحق والباطل، الصراع المتمثل في صناعة المثل الأعلى الوهمي وإخضاع الإنسان له من خلال تقديم الحاكم نفسه إلهاً، أو أن يقدم الحاكم إلهاً مرتبطاً به زوراً، أو أن يقدم الحاكم -أو السلطة الحاكمة- الهوى كإله للناس. وكل تلك الآلهة تخدم مصالح السلطة من خلال صناعة الإنسان الخاضع للنموذج الذي يفرضه هذا المثل، هذا الخضوع يضمن استدامة الحكم والاستبداد واستفادة فئة قليلة-الأوليغارشية- دون

الأغليّة من الشعب مهما تغيّر الشكل الظاهري للحكم وتبدّلت الأسماء وتناوبت على السلطة.

وكان في مقابل هذا الخط، خطأ آخر تصدّى له الأنبياء بكلّ قوّة، ولو كان الناس على قدر كافٍ من الحرّيّة للخروج من متاهة النموذج الغرائزيّ الذي يقدمه الفراعنة، لما بقي الأنبياء ضعفاء - من المنظور الماديّ وعدد الأنصار- أمام الفراعنة والطواغيت، وما الذي يجعل من نبيّ ما يحظى بهذا القدر من الخذلان سوى عدم وضوح الرؤية نتيجة لتحريف الحقائق وتشويهها وتغيير ذاتيّة الإنسان لتصبح تماشياً ومنسجمة مع ما تقدّمه السلطة الفرعونيّة، التي تتنكر لكلّ ما يقدمه الحقّ المتمثّل بالأنبياء والأولياء الصالحين.

وهذا الكلام ليس بالتاريخيّ فقط، فالبشريّة بطابعها المعرفيّ والفلسفيّ المشترك قد ضمنت نموذجها الماديّ النفعي، وقامت بذلك بتغيير الزمان والجغرافيا والأيدولوجيا والدين-الدين الطقوسي فارغ الأخلاق والقيم- إلاّ أنّ النموذج هو نفسه، والإنسان المرجو صناعته هو نفسه الخاضع، منزوع الإرادة الحرّة والاختيار الحقيقيين.

### ● ثانيًا: التضييل الحديث:

وأما حديثًا في هذا العصر، فأصبحت المنظومة الماديّة أكثر تعقيدًا وإبداعًا في سعيها لتغيير ذاتيّة الإنسان وفطرته وأكثر سيطرةً وتحكّمًا بالإنسان بالشكل الذي يجعل خروجه من هذه المتاهة أمرًا بالغ الصعوبة. ولمّا كان عمل المنظومة الماديّة، الغريبيّة خصوصًا، قائمًا على تعزيز

الهيمنة وحصر عمل العقل بالجانب الأيسر من الدماغ بالجنبه الماديّة النفعيّة الاختزاليّة، ولمّا كان العقل المفكّر أساس المحتوى الفكري الذي ستنشأ عنه الإرادة ثمّ السلوك الإنسانيّ، كان إشغال العقل المفكّر والمحتوى الفكري وتوجيهه لكلّ ما هو مادّيّ وغرائزيّ ونفعيّ، هو الضامن للسلوك الإنسانيّ المادّيّ والغرائزيّ والنفعيّ.

فالمنظومة الماديّة تعمل على إشغال العقل المفكّر والمحتوى الفكريّ واستدراج الإرادة للقيام بسلوكيّات ما كانت لتكون متاحة ومقبولة لديها لولا النجاح في إشغال الفكر واستدراج الإرادة إلى المكان المرفوض لديها مسبقاً، وعندما تصبح القضايا المرفوضة متاحة في العقل والمحتوى الفكريّ، يصبح لديها احتمال للظهور الخارجيّ من خلال سلوكيّات الإنسان، وبقدر ما تستطيع الإرادة الحرّة أن تسيطر وتضع قيوداً على كلّ ما هو غير أخلاقيّ، تحظى القضية غير الأخلاقيّة بنسبتها للظهور الخارجيّ سلوكيّاً.

فلو لم تكن القضايا المرفوضة فطرياً (أخلاقياً) موجودة في الفكر، لما وصل الصراع الذاتيّ في النفس إلى مرحلة الإرادة، المرحلة التي يحتدّ بها الصراع النفسيّ بين قوّة دافعة غرائزيّة تحارب الإرادة الحرّة المرتبطة بالقوّة الجاذبة الفطريّة، وعندها تكون احتماليّة ظهور السلوك الخارجيّ منوطة بمدى سيطرة إحدى القوتين الداخليّتين في نفس الإنسان. فإذا كانت نفس الإنسان قد هيمنت عليها القوّة الدافعة للغريزة والشهوة والمنفعة، تصبح الإرادة عاجزة عن الوقوف أمام هذا السيل الغرائزيّ العنيف، وعندها لا يكون أيّ معنى للإرادة باعتبارها نقطة تحقيق (Check Point) أخيرة قبل

الفعل وظهور السلوك، بعد أن أصبحت الغرائز والشهوة والمنفعة مُهيمنة على العقل والمحتوى الفكريّ، فما نفع الدواء بعد انتشار السرطان في كامل أعضاء الجسم؟! والذي يجعل من سيطرة الغرائز والشهوة والمنفعة على الفكر أمراً مُتاحاً، لا بل راجحاً بشكل كبير، هو هيمنة الدماغ الأيسر على العقل، هيمنة الجنبه التي تحصر القيم بالمنفعة.

وإذا هيمنت على النفس الإنسانيّة القوّة الجاذبة الفطريّة، تكون الإرادة الحرّة فعّالة ومؤثّرة وقادرة على العمل بعد توفّر مجالها الحيويّ الذي لا يعيق عملها. والذي يجعل من سيطرة القوّة الجاذبة الفطريّة على النفس أمراً ممكنًا، هو هيمنة الدماغ الأيمن والوسطيّة على العقل.

فيجب أن لا ننظر إلى موضوع السيطرة على الغرائز والشهوة والحدّ من المنفعة الخارجة عن الأخلاق من زاوية واحدة، وهي الإرادة بأن لا يفعل الإنسان ما هو غير أخلاقي وقيمي؛ لأنّ الإرادة هي نقطة التحقيق الأخيرة التي تقف بين الفعل واللا فعل، وماذا باستطاعة الإرادة فعله والتحكّم به أمام هيمنة غرائزيّة على كلّ ما هو غير أخلاقي في الدماغ؟ بل يجب النظر إلى الموضوع من ناحية أوليّة أساسيّة تتمحور حول ماهية عمل الدماغ، والطبيعة النفسيّة الداخليّة للإنسان الذي أصبح خاضعاً للطاغوت ومسيرًا. إنّ الذي ينتصر بالدرجة الأولى، هو الذي ينجح في السيطرة على إرادة الإنسان، وبالتالي يمهدّ الطريق أمام فعالية الإرادة من عدمها، فإمّا يقصّيها ويقضي على حرّيّتها وفعاليّتها وعملها، وإمّا يعزّز من عملها وسيطرتها على كلّ ما هو فكريّ، لتكون نقطة تحقيق فعّالة تفصل ما بين الفكري والسلوكي. وإن كانت الهيمنة للدماغ الأيسر النفعي الاختزاليّ، التي



تتمثل في فعالية الإرادة وقدرتها على السيطرة ومنع كل ما هو غير أخلاقي وقيمي، أمراً في غاية الصعوبة والتعقيد، وأما إذا كانت الغلبة للوسطية بين الدماغين الذي يضمه الدماغ الأيمن، عندها تُهيئ للإرادة مجالات مناسبة للسيطرة والتحكم بحرية بكل ما هو أخلاقي وقيمي وفطري.

إذاً، احتمالية نجاح الإرادة الحرة في ظل سيطرة الدماغ الأيسر وما ينتج عنه من هيمنة نفعية غرائزية على العقل، تكون صعبة جداً وشاقة للنفس، أما نجاح الإرادة في ظل سيطرة الدماغ الأيمن وما ينتج عنه من وسطية في ظل هيمنة القيم كل القيم على العقل، تكون بنسبة عالية كبيرة جداً، حيث إن الإرادة الحرة ستتفعل في أجواء مساعدة جداً للاختيار بحرية بين الفعل واللا فعل.

إذاً، قبل البحث في نقطة التحقيق الأخيرة، علينا العمل على نقطة التحقيق الأولى، وهي المنظومة التي تساعد هذه الإرادة على العمل بحرية، العمل على النموذج المُقدّم للبشرية الذي يعزز من هيمنة الدماغ الأيمن والوسطية. فمن الصعب جداً لهذه الإرادة أن تمنع كل السلوكيات غير الأخلاقية في ظل المنظومة المادية الغربية التي نجحت في تقديم نموذج جذاب ظاهرياً يسلب الحرية من إرادة الإنسان واختياره، وبذلك تضمن المنظومة المادية السلوك الإنساني المادي والغرائزي ﴿رُزِينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾.

هذه المنظومة باتت اليوم متوغلة في كل حياتنا، وبتنا نعيشها بكل

محفّزاتها ومؤثراتها من موقع سلبيّ مُتلقٍ من دون أن ندرك خطورة الأمر، ويكفي أن ننظر في واقع مواقع التواصل الاجتماعيّ والإدمان الذي تسببه والمؤثرات المادّيّة النفعيّة والغرائزية الجنسيّة التي باتت تُعرض علينا كيفما أدركنا وجوهنا، وأصبح الحديث عن النجاح وتحقيق الذات، يقتصر على النجاح في جمع الثروة، وأصبحت النساء من حيث لا يدرين سلعةً غرائزيّةً جنسيّةً تُعرض بها مفاتنها في التواصل الاجتماعيّ أو في الحياة الواقعيّة وطبعاً من منطلق «الحرية»، ولا أدري كيف تكون هذه الحرية في التعرّي والإثارة التي لم يمتاز بها النوع الإنسانيّ! فقد تصدّت المرأة من حيث لا تدري لأخطر مهمّة، وهي تخدير عقل الرجل وتجميد المجتمع، لتتحكّم بالرجل المؤثرات الجنسيّة التي تقدّمها المرأة في المجتمع، ويصبح أسير هذه اللذّة التي ستتيه بها مُخيلته دون الاكتفاء والرضا.

إنّ أيّ تقدّم وتطوّر سيكون للإنسان والمجتمع، حينما تكون الحرية مصدرًا للانحطاط الغرائزيّ الشهوانيّ، حيث تُمنع المرأة بحجّة التخلف والرجعيّة من صناعة مجتمعها الصغير وحماية المجتمع بالستر والعقّة والأمومة والدور النسويّ الذي يتناسب مع فطرتها وتكوينها الرقيق-كما يتناسب دور الرجل مع فطرته وتكوينه-، لتفسد الرجل الذي سيستنزف تفكيره وستتركز اهتماماته في متاهة الغريزة والشهوة.

### ● ثالثاً: أهمية الجهاد الأكبر:

إنّ ما يُطلق عليه إسلامياً تسمية جهاد النفس (الجهاد الأكبر) يُصوّر كأنه في مرحلة متأخرة جدًّا، أي في مرحلة الفعل أو اللافعل، مرحلة الرقابة

الأخيرة التي تسبق العمل والسلوك. وهنا تكمن الخطورة؛ إذ إنَّ المنظومة الماديّة نجحت في استدراج الإنسان إلى الصراع الذي غالبًا ما يكون لصالح الغرائز والمنفعة؛ وذلك لأنَّ حالة الصراع الذي يعيشه الإنسان في محاولته للسيطرة على الفعل، تكون في مرحلة قد ارتبط تحقيق الفعل النفعيِّ الغرائزيِّ بحاجات بيولوجيَّة (إفرازات هرمونيَّة) يحتاجها الجسم للشعور بالنشوة والاكْتفاء والرضا، وهذا بسبب هيمنة الدماغ الأيسر وحصر الرضا والاكْتفاء بما يقدِّمه هذا الجانب من لذة ومتعة ومنفعة، وهذا ما سيدفع الإنسان إلى القيام بسلوكيَّات ما كانت لتكون مقبولة في ظلِّ الوسطيَّة التي توفّر مجالاً حيويًّا لعمل الإرادة الحرة.

لكنَّ حقيقة جهاد النفس كما نعتقد يبدأ من حلقة الصراع الأولى، ألا وهي اختيار النموذج الصحيح المتناسب مع الفطرة السليمة، اختيار المنظومة التي يجب على الإنسان أن يمثل لها، والتي ستتج عقلًا مفكرًا ومحتوىً فكريًّا يتناسبان مع الإرادة الحرة والفطرة الإنسانيَّة السليمة.

كما تكمن خطورة المنظومة الماديَّة في قدرتها على إقناع العقل بالقيام بأعمال وسلوكيَّات غير أخلاقيَّة ستقدِّم نشوة وسعادة مؤقتة تزول بعد لحظات محدودة جدًّا، في حين يظهر أثر هذا السلوك الذي سيبقى تبعاته أكثر بكثير من لحظة السعادة. كما يعمل العقل النفعي الغرائزي في سعيه لإقناع الإنسان للقيام بعمل معيَّن على إغفال وتهميش المشاعر البعديَّة للعمل وآثاره، فاستدراج الإرادة من قبل العقل النفعيِّ بالاستناد إلى قوَّة الخيال والحاجة البيولوجيَّة الهرمونيَّة التي تؤمِّن اللذة والسعادة المؤقتة الناجمة عن الفعل، يُضللُّ إرادة الإنسان ويزيِّن لها القبيح لتتنازل عمَّا هو

أخلاقِيّ للوصول إلى اللذة المرجوة، والتي ستشكّل صدمة نفسيّة وروحيّة للنفس بعد الوصول إليها وزوال لذتها، وذلك لأنّها: أولاً: لم تحقّق اللذة المرجوة والمؤمّلة- كما وُعدت من قبل الخيال والعقل النفعي- بعد زوالها السريع، وثانياً لحالة الإحباط الكبير الذي سيشعر به الإنسان بعد قيامه بما هو غير أخلاقِيّ وغير قيمِيّ، كما يعمل على التعديل الهرموني الذي دائماً ما يسعى على المحافظة على الوسطيّة في الذهن من خلال التأقلم اللذائذيّ (Hedonic adaptation)، هذا المبدأ الذي يعمل على العودة بسرعة إلى مستوى ثابت نسبياً من السعادة على الرغم من الأحداث الإيجابية أو السلبية الكبرى أو التغيّرات الحياتيّة .

إذاً، إنّ الرضوخ للمنظومة الماديّة التي تقلّص من فعالية وتأثير الإرادة الحرّة، يؤدّي بالإنسان إلى العجز عن السيطرة على سلوكه، وهذا ما يسبّب التناقض التكوينيّ بين ما ينتج عن أفعال الإنسان وسلوكاته من آثار تضرّ نفسياً وعقليّاً بالإنسان، فجموح الإنسان الغرائزيّ -نتيجة لأثر المنظومة وعجز الإرادة الحرّة- يجعل منه يتناقض مع الطبيعة التكوينيّة الوسطيّة للذهن والنفس اللذين لا يجنحان نحو المتعة واللذة المفرطة تكوينيّاً -أو إلى الحزن الشديد أيضاً-، إنّما إلى الوسطيّة والاعتدال، وهذه الوسطيّة والاعتدال التي يحتاجها الإنسان بحكم التكوين والفطرة، لا يمكن أن تتحقّق إلّا من خلال منظومة أخلاقيّة تتماشى مع التكوين والفطرة الإنسانيّة، وهذا ما تضمنه المنظومة الأخلاقيّة القرآنيّة ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، أي إنّ الأمة الوسط هي الأمة الشهيدة التي تضمن اختيار الناس للحق

بإرادتها الحرّة، والإنسان الكامل هو ضامن الأمة الوسط. هذا هو الفرق بين الإنسان العالميّ التي سعت الحضارة الماديّة لصناعته من خلال منظومة نفعيّة غرائزيّة تعمل على إماتة الإرادة الحرّة وتخدير الشعوب وتضليلهم لتحقيق بذلك الأوليغارشيّة العالميّة هيمنتها العالميّة وتزيد من منافعتها على حساب الشعوب والأمم المضلّلة، وفكرة العالميّة الماديّة الإنسانيّة أراها أعجز من أن تقدّم خطوة أولى لمن يريد استغلال الإنسان العالميّ والمجتمع العالميّ لإقامة حكومته العالميّة. أمّا ما تقدّمه المنظومة الأخلاقيّة الإسلاميّة، فيحقّق هذا الطرح أسبابه الموضوعيّة عندما تنوجد الأمة الوسط التي ستضمن اختيار الإنسانيّة جمعاء للحقّ بإرادتها الحرّة، ولا تتحقّق الأمة الوسط إلاّ بعودة الإنسان الكامل الذي سيضمن اختيار أمته الوسط للحقّ المطلق.

### ● رابعاً: الحرب المعرفية أحدث أدوات الباطل:

ما أريد أن أقوله في هذا البحث، إنّ مسار السيطرة والهيمنة قد يتّخذ في بعض الأحيان مساراً مختلفاً عما قد يتصوّره البعض من خلال القوّة الخشنة والسيطرة الجغرافيّة، بل يتخذ مساراً أخطر وأكثر تأثيراً، وهو السيطرة على الإنسان الذي يشغل الجغرافيا، وبعد السيطرة على هذا الإنسان تصبح السيطرة على الجغرافيا متحقّقة بالفعل لا بالقوّة، بعد ضمان الجهة التي تسيطر على الإنسان في جغرافيا معيّنة سلوكه بما يتناسب مع آمالها وتطلّعاتها التي سينفّذها، وبذلك سيحقّق غايتها من السيطرة بالقوّة التي استبدلتها بالسيطرة الفعليّة بعد نجاحها بالتحكّم بكلّ سلوكيّات الإنسان.

وهذا الكلام الذي عرضناه للتو ليس بحثًا تحليليًا ولا إنشائيًا؛ لأنّ الذي يتابع ما ينتجه الغرب -أمريكا والناطو تحديدًا- سيجد المصاديق الحسيّة التي تثبت صحّة هذا الرأي؛ لأنّ أمريكا والناطو عمداً مع بداية الألفيّة الجديدة إلى التأسيس لنوع جديد من الحروب والتي تختلف عن الحروب التقليديّة، بحيث تعمل حرب ما بعد الحداثة بشكل دقيق وموجّه للسيطرة على الإنسان والتحكّم بسلوكه.

هنا تتضح أكثر أهميّة الأخلاق والمنظومة الأخلاقيّة الإسلاميّة، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أحدث ما توصل إليه إنسان ما بعد الحداثة، من صياغته لأحدث أنماط الحرب، سنجد أنفسنا أمام حرب ما بعد حديثه تحت مسمّى الحرب المعرفيّة (Cognitive warfare)، والتي تهدف إلى تغيير السلوك وبالتبعيّة تغيير المبادئ والقيم.

إنّ الحرب والعسكر بذاتهما ليسا الغاية النهائيّة، بل إنّ السيطرة والهيمنة هما الغاية، بمعنى أنّ الوسائل المتّخذة لتحقيق الغايات المرجوة، لم تعد بالضرورة محصورة بالعسكر أو بالقوّة الخشنة، إنّما الأصل هو تحقيق الهيمنة والسيطرة بكلّ الوسائل المتاحة، ومن أهمّ وأخطر وأحدث الوسائل التي عمد الأمريكي والناطو إلى الاستفادة منها، هي الحرب المعرفيّة، بحيث يُعتبر العقل البشري ساحة الحرب المعرفيّة، ممّا أدّى إلى عسكرة المجتمعات وعسكرة كلّ إنسان، بعد أنّ جعلوا من العقل البشري، تحديداً وبشكل مباشر، الساحة الحقيقيّة للحرب.

في أحد التعاريف لـ «الحرب المعرفيّة» في المواقع المؤسسيّة العسكريّة للدول الرئيسيّة، مثل الولايات المتّحدة والمملكة المتّحدة وفرنسا وألمانيا

وروسيا والصين والمنظمات الدوليّة الرئيّسة، مثل حلف شمال الأطلسي الموجودة على موقع Innovation Hub للدراسات الجارية المتعلقة بـ «Cognitive Warfare Project»، من بينها قراءة «The Cognitive Warfare Concept» بقلم برنارد كلافييري وفرانسوا دو كلوزيل اللذين يتحدّثان بوضوح عن «المجال السادس» وإعطاء التعريف الآتي للحرب الإدراكيّة:

«الحرب الإدراكيّة هي فنّ استخدام الأدوات التكنولوجيّة لتغيير إدراك أهداف البشر، الذين غالبًا ما يكونون غير مدركين لأيّ محاولة من هذا القبيل - مثل أولئك المكلفين بمكافحة عواقبها أو التقليل منها أو إدارتها، والذين تكون ردود أفعالهم المؤسسيّة والبيروقراطيّة بطيئة جدًا أو غير كاف».

فيّ الدراسة نفسها يقال إنّ مصطلح الحرب المعرفيّة تمّ استخدام هذا المعنى لأوّل مرّة في الولايات المتّحدة في عام 2017. في ذلك العام، تحدّث الجنرال الأمريكي فنسنت آر ستيوارت، مدير وكالة استخبارات الدفاع، خلال مؤتمر عن الحروب الحديثة للحروب المعرفيّة حيث تعمل السيطرة على المعلومات على التلاعب بالعدو لوضعها بكلمات بسيطة: «... هو معرفة ما يجب القيام به ومتى تفعل ذلك ... وإذا لم تتحكّم في المعلومات أو تعطلّت دورة صنع القرار لديك، أو تدهورت قدرتك المعرفيّة، فلن تتمكن من الفوز أو القتال بفعاليّة».

بالنسبة لمؤلّفي الدراسة، فإنّ الحرب المعرفيّة ممكنة من خلال تحقيق أقصى استفادة من التقاطع بين منطقتين «... PSYOPS يعني العمليّات

النفسية (القوة الناعمة)» و«العمليات السيبرانية» (الدفاع السيبراني) التي تهدف إلى إضعاف أو تدمير أصول المعلومات المادية من جهة أخرى». بينما أصرت الدراسة المدعومة من الناتو على أنّ الكثير من أبحاثها حول الحرب الإدراكية، مصمّمة لأغراض دفاعية، فقد أقرت أيضاً بأنّ التحالف يطور تكتيكات هجومية، قائلة: «غالبًا ما يكون الإنسان هو نقطة الضعف الرئيسة، ويجب الاعتراف بها لحماية رأس المال البشري لحلف الناتو، ولكنّ أيضًا ليتمكّن من الاستفادة من نقاط ضعف الخصوم».

وفي كشف مخيف، قال التقرير صراحة إنّ «الهدف من الحرب المعرفية، هو إلحاق الضرر بالمجتمعات وليس بالجيش فقط».

ومع وجود عدد كبير من السكّان المدنيين في مرمى الناتو، أكّد التقرير أنّ الجيوش الغربية يجب أن تعمل عن كثب مع الأوساط الأكاديمية لتسليح العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، ومساعدة الحلف على تطوير قدراته الحربية المعرفية.

ووصفت الدراسة هذه الظاهرة بـ«عسكرة علم الدماغ». ولكنّ يبدو من الواضح أنّ تطوير حلف الناتو للحرب الإدراكية، سيؤدّي إلى عسكرة جميع جوانب المجتمع البشري وعلم النفس، بدءاً من العلاقات الاجتماعية الأكثر حميمية إلى العقل نفسه.

وذكرت صحيفة أوتاوا سييتيزن في أيلول الماضي أنّ قيادة العمليات المشتركة للجيش الكندي، استغلّت جائحة كوفيد 19- لشنّ حرب إعلامية ضدّ سكّانها المحليين، واختبرت تكتيكات الدعاية ضدّ المدنيين الكنديين. أيضًا تشير التقارير الداخلية التي يراها الناتو إلى أنّ هذا الكشف



يضرِب تقنيات الحرب غير التقليدية الجديدة التي تستخدمها الجيوش الغربية في جميع أنحاء العالم.

وكتبت الحكومة الكندية في بيانها الرسمي حول التحدي: «تسعى الحرب المعرفية إلى تغيير ليس فقط ما يفكر فيه الناس، ولكن أيضاً كيفية تصرفهم». «وتنطوي الهجمات في المجال المعرفي على تكامل المعلومات السببرانية والمعلومات المضللة وقدرات الهندسة الاجتماعية».

وتابع البيان الصحفي لأوتاوا: «تجعل الحرب الإدراكية العقل ساحة معركة ومجالاً متنازعاً عليه، وهدفها هو زرع التنافر، والتحريض على الروايات المتضاربة، واستقطاب الرأي، وتطرّف الجماعات. يمكن أن تحفز الحرب المعرفية الناس على التصرف بطرق يمكن أن تعطل أو تفكك مجتمعاً متماسكاً بطريقة أخرى».

في عام 2020، كلّف دو كلوزل، وهو أحد قادة الناتو الكبار، بإجراء دراسة لمدة ستة أشهر حول الحرب المعرفية. لخصّ دو كلوزل بحثه في اللجنة في شهر تشرين الأول، وبدأ ملاحظاته مشيراً إلى أنّ الحرب المعرفية «في الوقت الحالي هي واحدة من أهمّ الموضوعات بالنسبة إلى حلف شمال الأطلسي»، و«أصبحت مصطلحاً متكرراً في المصطلحات العسكرية في السنوات الأخيرة».

قال دو كلوزيل: «الحرب المعرفية هي مفهوم جديد يبدأ في مجال المعلومات، وهو نوع من الحرب الهجينة». «يبدأ الأمر من شبكة الإنترنت في هاتفك المحمول؛ حيث تندفق المعلومات، والتي هي وقود الحرب الإدراكية، لكنّها تتجاوز كونها مجرد معلومات فقط، فهي حرب قائمة بذاتها».

أوضح دو كلوزل أنّ الحرب المعرفيّة تتداخل مع شركات التكنولوجيا الكبيرة والمراقبة الجماعيّة؛ لأنّ «الأمر كلّه يتعلّق بالاستفادة من البيانات الضخمة». «نحن ننتج البيانات في كلّ مكان نذهب إليه. كلّ دقيقة، كلّ ثانية ندخل شبكة الإنترنت. ومن السهل للغاية الاستفادة من هذه البيانات من أجل التعرّف عليك بشكل أفضل، واستخدام تلك المعرفة لتغيير طريقة تفكيرك».

كما عرف دو كلوزل الحرب المعرفيّة بأنّها «فنّ استخدام التقنيات لتغيير مفاهيم الأهداف البشريّة». وأشار إلى أنّ هذه التقنيات تتضمّن تكنولوجيا النانو، والتكنولوجيا الحيويّة، وتكنولوجيا المعلومات، والعلوم المعرفيّة. جميعها معاً «لتصنع نوعاً من الخليط الخطير جداً الذي يمكن أن يزيد من التلاعب بالدماغ»، كما قال.

تابع دو كوزيل: «من المهمّ أن نفهم أنّها لعبة تتعلّق بإدراكنا ومفاهيمنا، والطريقة التي يعالج بها دماغنا المعلومات ويحوّلها إلى معرفة، وليس مجرد لعبة تعتمد على المعلومات أو الجوانب النفسيّة لأدمغتنا. إنّهُ ليس مجرد إجراء ضدّ ما نفكر فيه، ولكنّه أيضاً إجراء ضدّ الطريقة التي نفكر فيها، والطريقة التي نعالج بها المعلومات ونحوّلها إلى معرفة». «بعبارة أخرى، لأنّ الحرب المعرفيّة ليست مجرد كلمة أخرى، اسم آخر لحرب المعلومات. إنّها حرب على معالجنا الشخصي، أي على عقولنا».

يشدّد الناتو على أهميّة هذا النوع من الحرب للجيش؛ لأنّه يتمتّع بالإمكانيّات من خلال تطوير أسلحة جديدة وطرق لإلحاق الضرر بالدماغ، ولديه القدرة على إشراك علم الأعصاب والتكنولوجيا في العديد والعديد

من الأساليب المختلفة للتأثير على البيئة البشرية... لأنكم تعلمون جميعاً أنه من السهل جداً تحويل التكنولوجيا المدنية إلى تقنية عسكرية. أما بالنسبة إلى مَنْ يمكن أن يكونوا أهدافاً للحرب الإدراكية، يقول دو كوزيل: «الحرب المعرفية لها امتداد عالمي، بدءاً بالفرد وحتى الدول والمنظمات متعددة الجنسيات». «فمجال عملها عالمي، ويهدف إلى السيطرة على الإنسان، المدني والعسكري على حد سواء». وأشار إلى أن القطاع الخاص لديه مصلحة مادية في تطوير أبحاث الحرب المعرفية: «تشير الاستثمارات العالمية الضخمة في علوم الأعصاب إلى أن المجال المعرفي سيكون على الأرجح أحد ساحات القتال في المستقبل»، ويؤكد الناتو على أن تطوّر الحرب المعرفية يحوّل الصراع العسكري تماماً بإضافة البُعد المعرفي.

وفي تقرير آخر عن اللواء الأمريكي روبرت إتش سكيلز، الذي لخّص الفلسفة القتالية الجديدة لحلف الناتو من خلال تعريف النصر بشكل أكبر من حيث الاستيلاء على الأرضية النفسية والثقافية، بدلاً من المنطقة الجغرافية. وإذا لم تستطع القوة الحركية هزيمة العدو، فإن علم النفس والعلوم السلوكية والاجتماعية ذات الصلة، ستملأ الفراغ وستكون جميع التخصصات الأكاديمية متورطة في الحرب المعرفية.

يعتبر الناتو أن الحرب المعرفية هي العنصر المفقود الذي يسمح بالانتقال من النصر العسكري في ساحة المعركة إلى النجاح السياسي الدائم. وقد يكون المجال البشري هو المجال الحاسم؛ حيث تحقّق العمليات متعددة المجالات تأثير القائد. يمكن أن تعطي المجالات

الخمسة الأولى انتصارات تكتيكية وعملية؛ فقط المجال البشري يمكنه تحقيق النصر النهائي والكامل.

إذًا، في ختام هذا البحث يثبت لنا أن البحث الأخلاقي الإنساني، والجهاد الأكبر والسيطرة على الإنسان، يتخذ في عصر ما بعد الحداثة طابعاً استراتيجياً جيوبوليتيكياً يصبّ في عمق مشروع السيطرة والهيمنة العالمية؛ لأنّ السيطرة على الإنسان وعلى المجتمعات سبب أساسي في السيطرة على الجغرافيا، والذي باستطاعته صناعة الإنسان بما يتناسب مع مشروعه، سيتمكن من السيطرة على بقع جغرافية أكبر.

ونحن نعلم علم اليقين أنّ المنظومة الأخلاقية الإسلامية المقدّمة من المعصوم، هي الأكمل والأكثر تناسباً وفطرة الإنسان والأكثر عالمية وملائمةً للنوع الإنساني، وعليه فإنّه وحده الإنسان الكامل المهدي المنتظر عجلّ الله فرجه من يمتلك الأسباب الموضوعية لصناعة الإنسان العالمي وبالتبعية المجتمع العالمي، وبذلك وحده من سيضمن السيطرة على كلّ الجغرافيا ليثبت حكمه العالمي ويُنهي التاريخ البشري؛ لأنّ البشريّة الخارجة عن مسار المعصوم هي أعجز من فهم الإنسان ومن صناعته، وأعجز أيضاً من صناعة هويّة عالمية توحد البشريّة جمعاء. وكلّ تجربة تسعى إلى السيطرة على الإنسان مهما اختلفت أساليبها وتجددت تقنياتها، محكومٌ عليها بالفشل نتيجة لضعف مقدماتها الأولية للنجاح؛ كونها تجهل المكوّن الأساسي في الإنسان المتمثّل بالروح والفطرة، وهذا ما يضمن أنّ النجاح في صناعة الإنسان العالمي وتحقيق الجغرافيا العالمية، لن يكون إلّا من خلال الإنسان الكامل.



**الفصل الخامس:**  
**لماذا الحكومة العالمية؟**

بعد أن بحثنا في الأسباب الموضوعيّة للسيطرة العالميّة من الزاوية الجيوبوليتيكيّة، نريد الآن من هذا الفصل الأخير أن نبحث في أصل قضية الحكومة العالميّة، هل هي حقّاً الخلاص للبشريّة؟ بمعنى هل هي حقّاً السبيل الوحيد لحلّ كلّ المشكلات البشريّة ولماذا قد يحتاجها الإنسان الحديث؟ وهل من الصحيح أن تياس البشريّة من تحقيق العدل العالميّ وتصل إلى الانسداد الحضاريّ؟ وهل أصبحت فكرة العدالة في زمان المادّيّة المفرطة وهماً من نسج خيال المتفائلين الرومانسيين؟ لأنّ الواقعيّة في ظلّ طغيان الظلم نتيجة لهيمنة القوّة، تفرض على كلّ إنسان اعتبار العدل وهماً.

أقول: نعم، يجب على البشريّة أن تياس من نفسها وأن تتيقن أنّها وصلت إلى الانسداد الحضاريّ، حيث إنّ بعد أن تمّ فصل هذه النفس عن السماء، ظنّ هذا الإنسان أنّه باستطاعته إقامة العدل العالميّ، وهذا لهدف سام عجز عنه الأنبياء أجمعهم، فاليأس من الذات الإنسانيّة هو حاصل طبيعيّ، وخصوصاً بعد الطلاق مع كلّ ما هو سمائيّ.

أمّا ما لا يجب على الإنسان أن يياس بشأنه، فهو إقامة العدل؛ لأنّ نهاية عالم الدنيا دون تحقيق العدل العالميّ والنهائيّ على الكوكب، يُثبت صدق الدهشة الكبيرة التي عبر عنها النوع الملائكي بعد أن عرفوا بحقيقة المشروع الإلهي على الأرض بجعل آدم خليفة لله على الأرض - ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً \* قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ \* قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ -، والدهشة هنا هي دهشة نوعيّة، فلم يعهد

الملائكة على نوع هجين قد تجلّت فيه بعض الصفات الإلهية التي لم يعهد وجودها في أيّ نوعٍ غيره هو سبحانه وتعالى، وقد عبّروا عن دهشتهم لله بتساؤلهم، ومفاده أنّه كيف يستطيع هذا النوع الهجين -التراب والروح الإلهية- تحقيق هذه الغاية - أي خلافة الله على الأرض- ونحن نرى أنّ مصدر استحالة تحقيق هذا الهدف المرجو، هو هذا المكوّن الهجين الذي أوجد في ذاتيّته. وقد أراد خالق هذا الكون أن يتحقّق هدف الخلافة من النوع الإنسانيّ له على الأرض من خلال شروط معيّنة، أهمّها الاختيار الحرّ من الإنسان وكدحه لله وتكامله الاختياري، فيما رأى النوع الملائكي أنّ هذا الاختيار الحرّ للإنسان، هو مصدر الإفساد والظلم وسفك الدماء. وقد أجاب الله على هذه الدهشة الملائكية، بأنّه يعلم عاقبة الأمور وخواتيمها، فهو المحيط بما خلق، فإذا كانت نهاية عالم الدنيا بالطريقة التي تصوّرها النوع الملائكي، فبذلك يكون النظام الذي أوجده الله لتحقيق الغاية التي لأجلها أوجد الوجود من العدم، فيها خلل ونقص، وهذا يُنافي التدبير الإلهيّ الحكيم، وهذا يُعزّز من فرضيّة العبثيّة عند الخالق، والله منزّه عن العبث، فهذا مُحال، فالله مُدبّرٌ حكيمٌ عالمٌ محيطٌ بما خلق، قيوم لا يفوته شيءٌ من الأشياء.

فالنظام الكوني السببيّ الذي أوجده واجد الأشياء من العدم، هذا النظام بأسبابه الموضوعيّة والتسلسلات العلميّة، لا يتناقض مع المحتوى الإنسانيّ وطريقة عمله الاختياري. فقد بدأ التاريخ البشريّ ببعثة الأنبياء الذين بذلوا جهوداً في سبيل تعزيز إنسانيّة الإنسان وتطويره وتعزيز ارتباطه بالله والالتزام بشريعة السماء، وقد تطوّرت وتكاملت شريعة السماء لتصل

في الختام إلى قمة الكمال التي نجدها في الإسلام الدين الأزلي والنهائي للإنسانية. وبذلك وصل المسار التراكمي للدين الإلهي إلى أكمل وأوسع وأشمل منظومة أخلاقيّة، لتكون هذه المنظومة الأخلاقيّة التي تراكمت وتطوّرت وتكاملت منذ بداية البشريّة وصولاً إلى بعثة الإنسان الأكمل على الساحة التاريخيّة محمّد رسول الله، النبيّ الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم.

لتكون هذه المنظومة الأخلاقيّة التي تتناسب مع طبيعة النظام الكوني والتسلسلات العلميّة، وبالنتيجة لا تتعارض مع الطريقة التي أراد الله إنجاز مشروعه بها حصراً من خلال اختيار الإنسان للحقّ وتكامله الاختياري، وليس من خلال القهر والإعجاز. ويكون هذا الهدف هدفاً موضوعياً، لا بدّ من تهيئة أسباب هذا الهدف، فكانت المنظومة الأخلاقيّة التي لديها القابليّة والأسباب الموضوعيّة للدخول إلى ذاتيّة الإنسان ليصدّقها ويؤمن بها ولتصنع محتواه الداخلي، هي أهمّ الأسباب التي تجعل من الاختيار الإنسانيّ للحقّ نتيجة لصناعة محتواه، وتكامله الاختياريّ، وبالنتيجة تحقيق الغاية الأساس التي لأجلها أوجد الوجود.

من هنا كانت المنظومة الأخلاقيّة الإسلاميّة القرآنيّة هي الخريطة أو الدستور، والتي بالتصديق بها تتحقّق الغاية الأساس لخلق النوع الإنسانيّ الآدمي. ولما كانت هذه الغاية الكبرى قابلة للتحقّق بعد إيماننا بحتميّة تحقّق هذا الهدف موضوعياً لعدم عبثيّة واجد الوجود وحكمته، كان بالتبعيّة إيماننا بتحقيق الغاية الصغرى محلّ موضوعيّة أيضاً؛ إذ إنّ الغاية الكبرى تحتوي وتتضمّن -أو ينتج عنها- الغاية الصغرى المتمثّلة بإقامة العدل العالميّ.



وحيث إنَّ الغاية الكبرى للخلق تكامل النوع الإنسانيّ ونجاحه في الاختبار في ظلّ حتمية هذا النجاح في خاتمة المسار البشريّ في عالم الدنيا، ولأنَّ الفشل يعني العبيثية عند واجد الوجود ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾، ولو كان الأمر -أي التكامل الاختياري- مُحالاً كما يدّعي بعض الناس، فلماذا أوجد الله نظاماً خاتمته الوصول إلى غاية غير قابلة التحقق؟ وإذا صحَّ هذا الادّعاء، عندها أليس حريّاً به أن يصل إلى هذه الغاية بطريقة أخرى؛ أي بنظام كوني آخر؟ وإذا كانت هذه الغاية أصلاً غير قابلة التحقق في ظلّ طبيعة تكوين النوع الإنسانيّ، فلماذا أوجد الله هذا النوع بهذا الشكل بما يتناقض مع الغاية المرجوة؟ وإذا لم يكن من سبيل لتحقيق هذه الغاية بأيّ طريقة ممكنة، فلماذا أصلاً يُوجد الله الحكيم المدبّر مشروعاً محكوماً عليه بالفشل، وهو يعلم نتيجته مُسبقاً؟ ولأجل كلِّ ما قيل للتوّ؛ لا يمكن لأيّ عقلٍ منطقيٍّ إلا أن يؤمن بأنَّ هذا الإله الحكيم إذا أوجد نظاماً، أوجد مشروعاً، لو لم يعلم بنجاح المشروع ختاماً، فلماذا بالأساس يوجد مشروعاً فاشلاً؟ فهذا مُحال.

الإنسان الذي يتمتّع بشيء من الحكمة والتدبير، من المحال أن يدخل مثلاً في تجارة هو يعلم من البداية أنّ نهايتها خسارة وفشل، فكيف بالله الذي هو مصدر الحكمة والتدبير! وإن لم يضمن الخالق الحكيم للإنسان صحّة اختياره من خلال إيجاد منظومة أخلاقية -تصنع محتواه الداخلي، وتوجّهه- فلماذا أوجد فيه قدرة الاختيار الخاطيء (الكفر والنكران التي

يضمونها الشيطان) كما أوجد قدرة الاختيار الصحيح (الإيمان والتوحيد)؟ ألعذابه دون استحقاقه له وُجد في هذا الاختبار؟ وإن لم تكن المنظومة الأخلاقية الإسلامية نافذة وتحوي كل الشروط الموضوعية لتضمن حسن اختيار الإنسان، فأين بديلها الأكمل الذي يضمن ذلك؟ إذ من المحال لخالق عادل رحمان رحيم أن يعذب إنساناً دون إيجاد ضامن مُسبق في عالم الاختبار يضمن حسن التحكم والاختيار لقدرات قد أوجدها الخالق فيه ليثبت العبد لمولاه صدق عبوديته له بالسيطرة والتحكم على غرائزه والتسليم للعبودية لله لا لهواه.

وقد وضع واجد الوجود كل الأسباب الموضوعية في المنظومة الأخلاقية ليكون تحقيق الغاية المرجوة ضمن شروطه أمراً موضوعياً علمياً واقعياً، وليس أمراً خيالياً طوباوياً ووهماً ينتج الفشل والعجز واليأس؛ لذلك قدّم الله في منظومته الأخلاقية الواردة في القرآن كتاباً ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، وفي سيرة الإنسان الكامل الذي هو مصداق القرآن، التجربة التي تُثبت قابلية تحقق وظهور النظرية في العالم الواقعي الحقيقي، كل ما هو ممكن لتحقيق الهدف النهائي.

ف نجد في المنظومة الأخلاقية الإلهية القرآنية، المعيار القرآني الأصيل الذي يحوي كل القيم الحميدة، ليستطيع الإنسان من خلال هذا المعيار من تقويم ما هو عادل وما هو غير عادل، ما هو أخلاقي وما هو غير أخلاقي، ما هو طغيان وظلم وما هو ليس كذلك، وكل هذا لا يكون بالاستناد إلى قيمة واحدة دون الأخريات، إنما من خلال الاعتماد على وحدة قيمية شاملة وموحدة تحوي كل القيم دون أي اختزال.

كما نجد أن هذه المنظومة الأخلاقية قد وضعت حدوداً وأطراً واضحةً أمام الإنسان والمجتمع والدولة، وحتى أمام تعامل الإنسان مع المادة، لتحفظ كرامة الإنسان وتقف عائقاً أمامه يمنع من الطغيان والفساد. ولا نقصد في هذا المقام بالعدل الجنبه السياسيّة أو الاقتصاديّة أو الاجتماعيّة فقط، كما عرفتها العدالة الاختزاليّة، وإنما نقصد العدل في تعامل الإنسان مع ذاتيّته المؤتمن عليها، المُستخلف عليها، فهل حفظ هذا الإنسان الأمانة التي ائتمنه الله عليها بدءاً من نفسه وذاتيّته، أم أنّه عبث فيها وغير فطرته، وعبث في غريزته وشهوته وملكها على نفسه؟ أي إنّ الله ائتمنه على نفسه ثمّ هو تخلّى عن هذه الأمانة لصالح غريزته وشهوته ليكون إلهه هواه، ليستمتع ببضع سنين يعيشها في الدنيا مُتعمداً نسيان مقصده وحياته الحقيقية الأزليّة. هذه الجنبه هي الأهم والأساس عندما نتكلّم عن العدالة؛ لأنّه كلّ ما سيطفو لاحقاً على السطح من سلوكيّات تتناقض مع العدل من قبل هذا الإنسان، إنّما ناشئة من عدم عدالته في ذاتيّته، ومن عجزه عن حفظ الأمانة المشروطة بالعدالة، بالتقوى، بالسيطرة على الغريزة والشهوة، فأصل الاختبار والقضيّة أنّ هناك دوافع ومحرّكات غريزيّة حيوانيّة يجب عليك لكي تُثبت حُسن أمانتك وعدالتك أن تتحكّم بها، وعندما يخون الإنسان أمانة الله برضوخه لهواه، عندها ستظهر هذه الخيانة، هذا الظلم الموجود في ذاتيّته مع تعاملاته مع أخيه الإنسان، مع المجتمع، مع الدولة، وحتى مع المادة.

إذاً، لكي تتحقّق العدالة يجب على المنظومة الأخلاقية أن تبدأ من عدالة الإنسان مع ذاتيّته، ومن عدالته في حفظ الأمانة، وعندما تعجز الأخلاق

من فعل ذلك بحكم النقص الهيكليّ في بنيتها الأساسيّة، ستعجز عن الحلّ والقضاء على كلّ أشكال الظلم والطغيان واللاعادلة التي يمارسها الإنسان بحقّ أخيه الإنسان (مهما كان مختلفاً) أو مجتمعه (أو أيّ مجتمع لأيّ آخر)، أو دولته (أو أيّ دولة لأيّ أخرى)، أو الحيوانات والمادّة؛ لأنّ كلّ ما سيظهر من سلوكيّات وتصرفات، ما هو إلّا نتيجة للمحتوى الداخليّ الإنسانيّ وطبيعة أداء الإنسان مع الأمانة المؤتمن عليها من خالقه. ولأجل ذلك، كان من الضروريّ جدّاً توفير منظومة أخلاقيّة تتماهى وتتماشى مع ذاتيّة الإنسان، مع محتواه الداخليّ، حاجاته الفطريّة، حاجته للارتباط بالمطلق، وحاجته لمعرفة القانون التفصيليّ والمسار الدقيق الذي يجب أن يمثّل إليه في سبيل حسن أدائه للأمانة الموكلة إليه من خالقه. يضمن الدين الحافظ والمحرّك للإنسان لكي يطبّق ما يمليه عليه كلّ ما هو أخلاقيّ، لأنّه سيضمن له خاتمته السعيدة في مقصده النهائيّ، وفي حياته الأبديّة، فالله يعدّ الإنسان الذي تنازل عن الانصياع لشهوته وغريزته وخيانة الأمانة، والذي تنازل عن بعض الأمور الدنيويّة لأجل أخيه الإنسان أو مجتمعه أو دولته، وعلى حساب حبّه لذاته، في مقابل تعويضه بأضعاف مضاعفة في عالم الحقيقة الأبديّة، وعندها يكون تنازله عمّا تطلبه ذاته، عمّا يحقّق له المنفعة واللذّة والسعادة، هو في صلب حبّه لذاته؛ لأنّ هذا التنازل هو الذي سيضمن له الحياة السعيدة والخاتمة الحسنة في عالم الحقيقة. كما أنّ الدين يستطيع أن يجعل تطبيق الإنسان للمنظومة الأخلاقيّة، أولى من السعي وراء المنفعة واللذّة؛ لأنّه عندما يدرك الحقيقة، وانطلاقاً من حبّه لذاته، سيبيدي المنفعة الدائمة الأبديّة التي ستمتّع بها

نفسه في العالم الآخر على حساب المنفعة الزائلة التي سينتهي أثرها بعد لحظات قليلة من تحققها، وما سيلبي هذا الشعور باللذة إما من ندم وعار- إذا كانت خارج الأمور الفطرية الأخلاقية- وإما حاجته مرة أخرى لهذه اللذة؛ ما سيدخله في دوامة لذائذية تحبّطه وتعزّز من يأسه.

وتضمن الشريعة الإسلامية بقوانينها المفصلة والدقيقة النابعة من الأخلاق ما يخدم صالح الإنسان والمجتمع والدولة، والضمانة القانونية التي تحمي المفهوم وتدخله في العالم الواقعي ودائرة التطبيق. وبذلك لا يقتصر الأخلاقي في الإسلام على التنظير في الإطار الإنساني النظري والنفسي والطقوسي والاجتماعي، بل يتجاوزه ليصل إلى دائرة القوانين والتشريعات والقضاء.

وأخيراً، يضمن الإنسان الكامل تقديم وشرح المنظومة الأخلاقية في الإطار النظري، كما يضمن تنفيذها وتطبيقها في الإطار العملي التجريبي، كما هي شاملة وكاملة غير مُجزأة وغير مُختزلة؛ لأنّ ماهية الإنسان الكامل لديها القابلية والأسباب الموضوعية التي تحول دون اختزال المنظومة الأخلاقية بحسب فهمه لها، أو حدّها بحسب محدوديته، فلكونه إنساناً كاملاً، فهو يتميز بطابع معرفي ذاتي (لا ضدي)، وهذا يعني أيضاً أنّ طابعه المعرفي شامل (لا اختزالي)، وهذا يجعله قادراً على تقديم منظومة أخلاقية شاملة لكل القيم، أو بكلمة أخرى لا يصدر عنه إلا ما هو شامل بحكم هيكله المعرفي مؤسس المعارف الأولية والثانوية، والتي يستحيل بحكم تلك البنية أن يتضمّنها ما هو اختزالي.

فالإنسان الكامل بحكم طابعه المعرفي الشامل، والذي هو مُحيط

بالمنظومة الأخلاقيّة الإسلاميّة الكاملة، سيقدّم أطروحة حول العدالة بطريقة عالميّة وشاملة لكلّ القيم، وليس هذا وحسب، بل يستطيع أن يطبّقها -كونها لا تقتصر في مجال التنظير-، وكونه هو ضامن المنظومة الأخلاقيّة، لأنّه:

■ محيط بشكل كامل بالوجود الإنسانيّ، وهذه الإحاطة تستلزم إحاطة بالنظام الحاكم بهذا الوجود؛ لأنّ إرادة الخلق هي ذاتها إرادة النظام.

■ محيط بشكل كامل ومطلق بذاتيّة الإنسان، بتكوينه، حاجاته الفطريّة، ومحيط بالطريق التي يعمل بها دماغه بشقيّه الأيمن والأيسر.

■ محيط بشكل كامل بكلّ ما يؤثّر بهذا الإنسان، عقليّاً، ونفسيّاً، وعاطفيّاً، وغرائزيّاً، وفكريّاً، وسلوكيّاً؛ أي محيط بالنظام الحاكم أو المؤثّر على هذا النوع.

لذا يستطيع هذا الإنسان الكامل الذي لديه الإمكانيات والأسباب التكوينيّة أن يُقدّم ويُطبّق المنظومة الأخلاقيّة الإسلاميّة الكاملة المطلقة من دون أن يحدها بحدّيته، أو يختزلها، ليحافظ على شموليّة المنظومة الأخلاقيّة وكمالها، وهي المنظومة التي حوت كلّ القيم دون استثناء، وبناءً على هذه المنظومة الأخلاقيّة الإسلاميّة القرآنيّة المطلقة المقدّمة حصراً من الإنسان الكامل، تُقدّم وتُطبّق أطروحة كاملة وشاملة حول العدالة العالميّة. عندها لا يمكن لليأس أن يدخل إلى قلب الإنسان المرتبط بذاك الإله الحكيم المُدبر، وبذاك الضامن للوعد الإلهيّ الحقّ، الذي لا يخلف وعده.

من الإشكاليّات المهمّة التي قد تُطرح في أذهان البعض، ما مدى عدالة

حكومة شاملة أحاديّة وما مدى جدارتها في حكم العالم؟ بعبارة أوضح، ما هي الضمانات بعدم ظهور أيّ نوعٍ من الطبقيّة، التفرقة، التهميش، استغلال الشعوب لأيّ عرق في أيّ بقعة جغرافيّة معيّنة بعد انضمام كلّ الأمم إلى حكومة واحدة في ظلّ عدم وجود أيّ قوّة مركزيّة مقابلة لها ما يؤدّي إلى تفرّدّها بالحكم؟ فمن المتعارف عليه أنّ من أهمّ الأسباب التي تؤدّي إلى الطغيان والظلم في الحكم، وجود قطب عالميٍّ واحد يحكم العالم من دون منافس أو رقيب أو من يحاسب. فمن أهمّ الأحداث التي أدّت إلى زيادة الظلم والطغيان والصراعات في العالم، هو انهيار الاتحاد السوفييتي في العام 1991 وتفرّد الولايات المتحدة كقوّة عظمى وحيدة تحكم العالم، ما أدّى إلى عدم التوازن في العالم وتفاقم الأزمات أكثر. فما هي الضمانات التي يمكن أن يقدمها نموذج الإنسان الكامل للحكم؟ في حين أنّ التجارب البشريّة عجزت عن تقديمها- أي عجزت عن تقديم الضمانات- وكيف سينجح هذا النموذج في حين فشل الآخرون؟ وكيف سيثبت هذا النموذج أنّ الحلّ هو في تفرّده بالحكم لا في التوازن القائم بالتعددية القطبيّة للقوى الحاكمة؟

### ● أولاً: وكان الإنسان أكثر شيءٍ جدلاً.

يوافق «جون لوك»\* مع «توماس هوبز»\*\* على أنّ الحكومة الشرعيّة تنمو وتنشأ من الحاجة إلى حماية الإنسان من عنفه الخاصّ به. ولكنّ «لوك» أشار إلى أنّ الحكّام المطلّقين يمكن أن يخرقوا حقّ الإنسان في الحفاظ على نفسه، وعلاج هذا ليس الحكم المطلق بالحكومة المحدودة.

إدًا، المشكَلَة الّتي أدّت إلى تعزِيز فِكْرَة التّعدديَّة القُطيبيَّة أو إقَامَة حُكُومَات محدُودَة للّتخفِيف من حدّة الطغيان والظلم، هي الإنسان الأنانيّ الظالم لنفسه ولأخيه الإنسان، الإنسان غير الخاضع للرقابة وللقيود والأطر الأخلاقية.

إذا لم يحل هذا الكائن الذي هو في مركز القوّة تناقضه الخاصّ وجدله الإنسانيّ من الداخل، فسوف يفرز لا محالة صيغة من صيغ التناقض الاجتماعيّ، ومهما اختلفت الصيغة في مضمونها القانوني وفي شكلها التشريعي وفي لونها الحضاري، فهي في نهاية المطاف صيغة من صيغ التناقض بين القويّ والضعيف، قد يكون هذا القوي فرداً فرعوناً، وقد يكون عصابة، وقد يكون طبقة، وقد يكون شعباً، وقد يكون أمة، وقد يكون حكومة، كلّ هذه ألوان من التناقض تحتوي روحاً واحدة، وهي روح الصراع، روح الاستغلال من القويّ الذي لم يحلّ تناقضه الداخليّ وجدله الإنسانيّ القائم بين التراب والروح الإلهية. إدًا، الجدل الداخليّ - سواء أكان إنساناً أم شعباً أم أمة أم حكومة - سينعكس حتماً على الخارج، فالحلّ في حماية الإنسان من عنفه الخاصّ أو حماية شعب أو أمة، وهذا لا يتمّ إلّا عن طريق حلّ التناقض الأساس الكامن في المحتوى الداخليّ للإنسان، وعندما ينجح في القضاء على هذا التناقض والجدل، سيحمي الإنسانية من الظلم والطغيان. هكذا نكون قد عالجتنا أساس المشكلة.

ولا يكون هذا العلاج إلّا بالإسلام، وهو الدين الذي قدّم منظومة أخلاقية كفيّلة بحلّ كلّ أشكال التناقض الداخليّ منشأ التناقض الخارجيّ، الإسلام الذي يحتوي على حلّ هذه المشكلة التي يواجهها خطّ علاقات



الإنسان مع الإنسان، هي تلك الرسالة التي تعمل على مستويين في وقت واحد، تعمل من أجل تصفية التناقضات الاجتماعية على الساحة، لكن في الوقت نفسه - وقبل ذلك - تعمل من أجل تصفية ذلك الجدل في المحتوى الداخلي للإنسان من أجل تجفيف منبع تلك التناقضات الاجتماعية.

### ● ثانياً: ثنائياً ما هو كائن / ما ينبغي أن يكون

ما هي هذه الثنائية؟ هل هي مقولة واحدة أم مقولتان منفصلتان؟ تمثل مقولة ما هو كائن الجانب القانوني كما هو عليه من دون أي اقتداء منطقي وأخلاقي، أما ما ينبغي أن يكون، فيمثل الجانب الأخلاقي؛ إذ تمثل مقولة ما هو كائن الحقيقة، ومقولة ما ينبغي أن يكون القيمة. نظرياً، بدأ الفصل بين الحقيقة والقيمة يظهر في عصر التنوير - فصل الذات المستقلة - في أوروبا. فبالنسبة إلى كانط كما هو الحال بالنسبة إلى النموذج الحديث الناشئ، يُعرّف النضج الفردي والحضاري بأنه دافع مستقل قارئ عميق في الذات، دافع أو إرادة لا توجه سلوك الإنسان الأخلاقي والعقلي فحسب، بل تضمن استقلاله أيضاً. وكما أن شيلر يعتبر أن للإنسان الحديث إرادة قلبية من أجل المعرفة وبناء قيمه متمركز حول الرغبة في السيطرة على العالم المادي.

بهذا التوجه مهدت نظرية شيلر لأفكار مدرسة فرانكفورت ونظريات فوكو في الضبط والقوة، ووسّعت صفة التحكم والسيطرة الغريبة الحديثة باتجاه الذات التي تدرك بوصفها شيئاً يمكن التحكم به والتلاعب به بواسطة السياسة والتعليم والتوجيه والمنظمات. وبذلك كانت السيطرة

هي الاتجاه النموذجي لا فيما يخصّ المادّة «المتوحّشة» و«البليدة» فحسب، بل أيضًا فيما يخصّ الذات الإنسانيّة؛ إذ يعتقد شيلر إلى جانب بيكون وفيكو ونيتشه وفوكو ومفكّري مدرسة فرانكفورت وآخرين، أنّ نظام المعرفة الغربيّ موجه بصورة مبرمجة لخدمة القوّة والضببط والسيطرة وتغيير العالم، وعندما تكون المادّة «متوحّشة» و«بليدة»، فإنّه يمكن للمرء أن يتعامل معها من دون أيّ قيد أخلاقيّ. هذا ليس كلّ شيء، فالنقطة الأكثر أهميّة في عزل المادّة بوصفها «متوحّشة» و«بليدة»، هي ظاهرة شديدة الأهميّة ناتجة عن ذلك، وتمثّلة في فصل الحقائق عن القيم، وهو عامل رئيس وجوهريّ من عوامل مشروع الحداثة.

إنّ اعتقاد هوبس بفصل الأخلاق عن الموروثات والدين وحصرها بالعقل، مهدّ للفصل بين القانون والأخلاق، فوضع أوستن قانون الحاكم في صدارة الجدل حول القانون والأخلاق، متجاوزاً في ذلك هوبس، ففرّق بين قانون الحاكم والقانون الأخلاقي، وبذلك يكون الطابع المعرفي الأساس الذي يميّز الوضعيّة القانونيّة، هو رفض أيّ اقتداء منطقيّ أو أيّ صلة ضروريّة بين القانون كما هو عليه والقانون كما ينبغي أن يكون.

تمثّل ثنائيّة ديكارت ما هو كائن/ما ينبغي أن يكون، الصراع بين التجليات الأداتيّة للعقل وبقايا تراث الأخلاق والفضائل المسيحيّة، وإذا كان هوبس وديكارت هما اللذان كيّفا فكرة الانقسام بين «ما هو كائن» و«ما ينبغي أن يكون» في البداية وبصورة مبسّطة، إذا كان هيوم هو الذي طرحها كإشكاليّة فلسفيّة، في حين ترجمها أوستن إلى الوضعيّة القانونيّة، إلّا أنّ نيتشه هو الذي أعلى سقفها الوضعيّ بإنكاره الحدّ لصحّة الانقسام كليّاً، وهو إنكارٌ

لم يتأتَّ من التوفيق بين الاثنين، بل تحقَّق عن طريق التضحية بالقيمة «ما ينبغي أن يكون»، حيث يبدو أن فلسفته جرّده من كلّ قيمة. إنَّ مفهوم نيتشه عن الحقيقة من حيث ارتباطها بمبدأ إرادة القوّة الذي تبناه، من شأنه أن يجعل «ما ينبغي أن يكون» فارغاً وخادعاً.

يوضح هذا الشرح البسيط العوامل التي أدت إلى العجز عن حلّ معضلة الظلم والطغيان التي عانت منها البشريّة، بدءاً من الدول الملكيّة التي تحكمها سلالات غير كفؤة وتتفرّد في الحكم ويكون الملك الحاكم هو صاحب السيادة المطلقة، وصولاً إلى الاضطهاد الدينيّ والسلطة الحاكمة التي تحميها السلطة الدينيّة.

في منتصف القرن السابع عشر بدأت التجارب البشريّة بالسعي لحلّ هذه المعضلة بعدما عانت أوروبا من ظلم واضطهاد وطغيان، كان معظمها ذا طابع مقدّس ظاهريّاً، فقدّم العقل البشريّ سعيّاً منه للهروب من المشكلة، هذا العقل الذي أصبح هو صاحب السيادة، هذا المثل المحدود ذو الرؤية المستقبلية المحدودة بديله، من خلال فصل القيمة عن الحقيقة، فنتج عنه فصل القانون عن الأخلاق، فكما أصبح العقل هو صاحب السيادة على الكون لا الله، أصبحت الدولة الحديثة هي صاحبة السيادة المطلقة، أمّا القانون المنفصل عن الأخلاق، فهو من إفرات هذا الطلاق لكلّ ما هو قيميّ.

أصبحت الدولة الحديثة صاحبة السيادة المطلقة تخضع للقانون التي أنتجته المنفصل عن الأخلاق، وبذلك تكون سيادة الدولة ومصالحها المحرّك الأوّل الذي يحدّد طبيعة سياسات الدولة، فلا وجود للأخلاق

تردع هذا الإنسان الحاكم أو هذه الدولة من الظلم والطغيان والقانون الموضوع، قانون ضيّقت تحرّكه مصالح الدول وأولوياتها. أمّا الحلّ، فيكون باعتبار «ما هو كائن» و «ما ينبغي أن يكون» مقولة واحدة؛ أي عدم الفصل بين الحقائق والقيم، وهذا ما يتطلّب تغييراً هيكلياً في الطابع المعرفي للبشريّة، والذي يتطلّب بالمقابل إعادة تشغيل الدماغ بطريقة وسطية تحقّق التوازن بين الحقائق والقيم، دون هيمنة الدماغ الأيسر الماديّ الذي لا يعترف سوى بالحقائق ويختزل كلّ ما هو قيمي. وتحقيق الوسطية في النشاط الدماغى، يتطلّب إعادة تعريف من منظور المعرفة الذاتية لا الضديّة للعقل والإنسان والمادّة والكون، والأهم من ذلك بالمثل المطلق الحقيقيّ، وهذا ما تضمنه المنظومة الأخلاقية الصادرة عن ذاك المطلق الحقيقي.

إذاً، الحلّ بالقانون الحقيقيّ النابع من صميم المنظومة الأخلاقية، التي لا تُخرج الإنسان عن دائرة الرقابة الإلهية، فالاستخلاف بالصيغة الرباعية تحلّ هذه المعضلة؛ إذ إنّ الله صاحب السيادة المطلقة استخلف الإنسان على أخيه الإنسان وعلى الأرض وكلّ ما عليها، وأمنه عليهم ضمن القوانين التي لا تخرج عن الأطر الأخلاقية باحترام العلاقة المعنوية بين الإنسان وأخيه، وبين الإنسان والمادّة، هذا الإنسان المُستخلف تحت الرقابة الدائمة من الله المُستخلف، هذه الرقابة وهذه القوانين والأطر الأخلاقية هي التي تردع الإنسان والدولة من الظلم والطغيان.

أمّا الإنسان الذي يُمثّل السيادة الإلهية على الأرض ويحقّق مصداق الاستخلاف بكلّ شروطه وأطره، هو ذاك الإنسان الكامل الذي يمثّل

للمطلق الحقيقي، للسنن التي جعلها في الكون والتاريخ والإنسان؛ لذلك فإنّ الحلّ الوحيد لرفع الظلم والطغيان، لا يكون إلاّ بحكومة الإنسان الكامل الأحاديّة.

### ● ثالثاً: المثل الأعلى المطلق

بما أنّ الحرّيّة تمثّل حجر الزاوية في مشروع التنوير، والتي يعبر عنها في فكرة الاستقلال الكنيّة، فإنّها لم تعد تشير إلى قدرة الله المطلقة ومشيئته غير المتناهية، وغدت بدلاً من ذلك تعبيراً عن قدرة الإنسان الطبيعيّة على استخدام العقل. ويعتقد هوبز بوجود تأسيس الأخلاق على قوانين موضوعيّة يكتشفها العقل، لا على التراث أو أيّ نصوص دينيّة.

إنّ العقل البشريّ المحدود الذي أنتج المسار ذا الرؤية المستقبلية المحدودة، بات اليوم يواجه الكثير من المشكلات، فإنسان هذا العصر ومجتمعه بات يعيش الأزمات النفسيّة والاجتماعيّة والروحيّة بشكل يوميّ، وكلّ ما أنتجه هذا المسار هو إنسان منتج وخاضع، فقد حوّل الإنسان إلى آلة تستثمر فيها الدولة لينتج لها غايتها الأساس «المنافع»، وبات إنسان هذا العصر حتّى الإنسان المسلم مع الأسف تتحكّم فيه هذه الذاتيّة الماديّة التي زُرعت في ذاتيّته البشريّة، وبات مقتنعاً بأنّ جُلّ همّه المنفعة والمادّة -مأكله ومشربه وملبسه-، هذه المادّة التي بها يحقق كماله. لقد تحوّل المسار التكامليّ الإنسانيّ إلى مسار ماديّ منفصل عن القيمة، وهذا نتاج الإفراز الذهنيّ المحدود الذي أنتجه العقل الذي فصل القيم عن الحقائق.

فالظلم والطغيان قبل كلّ شيء يمارسهما الإنسان مع ذاته، بعد أن فصل عنها الروح الإلهيّة (القيمة) وأبقى على التراب المادّة (الحقيقة)، هذا ما أنتجه المثل الأعلى المحدود المتمثّل بالهوى - العقل النفعي الديكارتّي - بعد أن فصل بين القيمة والحقيقة.

أصبحنا نظلم أنفسنا بتخلّينا عن جوهر إنسانيتنا المتمثّلة بالروح الإلهيّة المقدّسة. ينتفي هذا الظلم والطغيان الداخلي الذي يمارسه الإنسان الحديث من خلال إيمانه الحقيقي لا الظاهري فقط بالمثل الأعلى المطلق الله سبحانه وتعالى، الإيمان بالمثل الذي خلق هذه الثنائيّة، التراب والروح، الحقيقة والقيمة، هذا المثل الأعلى المطلق الذي قدّم في كتابه المقدّس القرآن القانون على أنّه مشتقّ عضويّاً من الأخلاق النموذج الأصليّ، فما هو قانوني في القرآن والشريعة القائمة عليه، هو أخلاقيّ بالمثل، والعكس صحيح.

هذه النظريّة الأخلاقيّة الكونيّة التي يقدّمها القرآن، يطبّقها الإنسان الكامل في نمودجه الذي يمثّل للسنن التاريخيّة القرآنيّة، وبذلك يكون خلاص الإنسانية بالامتثال لنموذج الإنسان الكامل التجربة الحسيّة للنظريّة الكونيّة القرآنيّة.

يتعرّض روح الله الخميني لهذا الموضوع قائلاً:

« فإذا أردنا تخليد أحكام الشّرع عمليّاً، ومنع الظلم والاعتداء على حقوق الضعفاء من الخلق ومنع الفساد في الأرض، ومن أجل تطبيق أحكام الشّرع بشكل عادل، ومحاربة البدع والضلالات... من أجل ذلك كلّه لا بدّ من تشكيل حكومة»، ويقصد هنا الحكومة الإسلاميّة، حيث يرى

الإمام الخميني أنّ الإسلام بحكومته هو الحلّ لرفع الظلم والطغيان. لذلك يكمن الحلّ النهائيّ الذي يقضي على كلّ أنواع الظلم والطغيان في حكم الإنسان الكامل الممثل للدين بكلّ شروطه وسننه، وبذلك يكون الحلّ الوحيد هو بإرساء حاكميّة الإسلام في العالم أجمع.

في الختام، يتّضح لنا أنّ الحكومة العالميّة للإمام المهدي، عجلّ الله فرجه الشريف، هي الحلّ الوحيد لكلّ ما تواجهه البشريّة من تحديات ومشكلات، وإنّ صلاح البشريّة وتحقيق العدالة لا يتحقّق إلاّ من خلال هذا الطريق بقيادة الإمام سلام الله عليه، ويتّضح أيضاً أنّ الحكومة العالميّة لا يمكن أن تتحقّق إلاّ بوجود الإنسان الكامل الذي وحده منّ يستطيع صناعة الإنسان والمجتمع العالمي وبناء هويّة عالميّة، وبعد توحيد الإنسان تحت مظلة واحدة عالميّة وشاملة، توحّد الأرض تحت حكومة عالميّة واحدة، بعد أن حقّقت كلّ الأسباب الموضوعيّة للنجاح، بدءاً من الإنسان والمجتمع والهويّة، وصولاً إلى الأسباب والجيوبوليتيكيّة ببعديها الأخلاقي والمادّي (السياسي، العسكري، الاقتصادي)، فقد ثبت لنا أنّ وحده الإنسان الكامل منّ يستطيع أن يصنع الإنسان العالمي، بناء هويّة عالميّة غير مقيّدة كنتيجة لمثله الأعلى المطلق، وهذا ما يعني أنّه من الاستحالة بعد أن ينجح في عدم تقسيم الإنسان هويّاتياً أن يقسم الأرض، وهذا ما سيُنتج أرضاً غير مقسّمة، يعني جغرافيا عالميّة.

والقضيّة المهمّة أيضاً أنّ توحيد العالم الإسلامي تحت حكومة واحدة، لن يتحقّق إلاّ بعودة الإنسان الكامل، وقد ثبت لنا من الزاوية الجيوبوليتيكيّة التقليديّة أنّ منّ سيطر على العالم الإسلامي ويحكمه، يمتلك الأسباب

الموضوعيّة للسيطرة والتحكّم بالعالم أجمع.  
إذًا، الكلام عن الحكومة العالميّة للإمام المهدي، عجلّ الله فرجه،  
ليس عاطفيّاً رومانسيّاً، بل هو كلام العقل والمنطق؛ لتوفّر كلّ الأسباب  
الموضوعيّة التي تضمن تحقّق هذا الأمر بما يلزم أصحاب العقل والمنطق  
مهما اختلفت انتماءاتهم الفكرية والأيدولوجية، وهذا ما نعتقده في قضية  
نهاية التاريخ.  
هذا ما تؤمن به الشيعة الإماميّة الاثني عشرية، الحكومة العالميّة لن تقوم  
إلاّ ببناء «يا أهل العالم»، والسلام.



## المصادر والمراجع:

في اللغة العربية:

1. القرآن الكريم.
2. مفاتيح الجنان.
3. الصحيفة السجّادية.
4. أندرسن، بندكت، تقديم عزمي بشارة، الجماعات المتخيّلة تأملات في أصل القومية وانتشارها، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017م.
5. الألباني، شرح العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلاميّ.
6. «باب المنذب بالوقائع والأرقام». الشرق الأوسط. مؤرشف من الأصل في 27 يوليو 2018. اطلع عليه بتاريخ 02 فبراير 2021.
7. بريجنسكي، زيغنيو، ترجمة عمر الأيوبي، الاختيار السيطرة على العالم أم قيادة العالم، دار الكتاب العربي، بيروت، 2004م.
8. بريجنسكي، زيغنيو، رؤية استراتيجية أمريكا وأزمة السلطة العالميّة، دار الكتاب العربي، بيروت، 2012م.
9. جدة عبد الرزاق الزهراني، مجلّة الرياض، نقلاً عن إحسان أوغلي الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلاميّ. 2010/1/13. العدد 15908.
10. الجمعية العامة للأمم المتّحدة: الدورة الثانية والستون الجلسة العامّة 19، المحاضر الرسمية، الأمم المتحدة، نيويورك، 5 تشرين الأول/أكتوبر 2007م.

11. حسين، عبد الرزاق عباس، الجغرافيا السياسية: التركيز على المفاهيم الجيوبوليتيكية، مطبعة أسعد، بغداد، 1976م.
12. حلاق، وائل، ترجمة عمرو عثمان، الدولة الحديثة الإسلام والسياسة ومأزق الحداثة الأخلاقي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت 2015م.
13. الخميني، روح الله، الحكومة الإسلاميّة، دار الولاية، بيروت، 2011م.
14. دوغين، ألكسندر، تعريب وتقديم د. عماد حاتم، أسس الجيوبوليتيكا مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2004.
15. السماك، محمد أزهر سعيد، الجغرافيا السياسية الحديثة، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1993م.
16. السيد حسين، عدنان، الجغرافيا السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1996م.
17. الشناوي، عبد العزيز محمد، السخرة في حفر قناة السويس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010م.
18. كيسنجر، هنري، ترجمة فاضل جتكر، النظام العالميّ تأملات حول طلائع الأمم ومسار التاريخ، دار الكتاب العربي، 2015م.
19. مريم التايدي - الرباط، يخترن المغرب %70 من موجودات هفي العالم، موقع الجزيرة.نت، مؤرشف في 2020/12/7.
20. ملكاوي، أسماء، حالة العالم الإسلاميّ: أرقام ومؤشرات، موقع الجزيرة.نت، 3-10-2004.

21. هادي، زهراء عباس، الجغرافيا السياسية للطاقة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2021م.
22. الريشهري، محمد، الخير والبركة في الكتاب والسنة، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002م.
23. العزب، هبة جمال الدين محمد، الدبلوماسية الروحية والمشارك الإبراهيمي المخطط الاستعماري للقرن الجديد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2021م.
24. سامي عبد العزيز عثمان، أمن البحر الأحمر، 2016.

#### في اللغة الانجليزية:

1. Alejandra Roman & Administration. «Strait of Hormuz». The Encyclopedia of Earth. Published in 2015.
2. Allen Keisetter and Bishop John Chane, "Diplomacy and Religion: Seeking Common Interests and Engagement in a Dynamically Changing and Turbulent World," The Brookings Project on U.S. Relations with the Islamic World, U.S.-Islamic World Forum Papers 2013 and Saban Center for Middle East Policy at Brookings, (November 2013).
3. Aira Kemilainen, Nationalism: Problems Concerning the World, the Concept and Classification.
4. Charles Kruszewski. The Pivot of History. Foreign Affairs.

Published in 1954.

5. Christina Armenta, Kennon M. Sheldon. Is Lasting Change Possible? Lessons from the Hedonic Adaptation Prevention Model in Stability of Happiness, Science Direct.com, 2014.

6. Elizabeth C. Losos and T. Robert Fetter, FUTURE DEVELOPMENT. Building Bridges? PGII versus BRI, published in Thursday, September 29, 2022. <https://www.brookings.edu/>

7. Ernest Gellner. Thought and change. Published in 1964.

8. Ernest Renan. Qu'est-ce qu'une nation? Publié en 1882.  
(بالفرنسية)

9. Evans, Graham The Penguin Dictionary of international relations. New ham, Jeffrey. London: Penguin books. Published in 1998.

10. Eker-Develi, E. Distribution of phytoplankton in the southern Black Sea. Spring and autumn 1998. Journal of Marine Systems. 39 (3-4): 203-211.

11. Francis Fukuyama, "Transitions to the Rule of Law," Journal of Democracy, vol. 21, no1. January 2010.

12. Freeman, Donald B. The Straits of Malacca: Gateway or Gauntlet? (2003). McGill-Queen's University Press. ISBN 0-7735-7-2515. A book review citing this information can be found at

University of Toronto Quarterly, Vol. 74, No. 1, Winter 20045/.

13. Gary Lawson. Rise and Rise of the Administrative State. Harvard Law Review Pub. Association, Vol. 107, No. 1231. Published in 1994.

14. Haradhan Kumar Mohajan. The First Industrial Revolution: Creation of a New Global Human Era. Research Gate. October 2019.

15. Haradhan Kumar Mohajan. The Second Industrial Revolution has Brought Modern Social and Economic Developments .Research Gate. January 2020.

16. International - U.S. Energy Information Administration (EIA)» , [www.eia.gov](http://www.eia.gov). Archived (PDF) from the original on 22 November 2014. Retrieved 28 April 2018.

17. Islam Is the Fastest Growing Religion in the World. VOA - Voice of America English News<https://www.voanews.com>. May 7, 2016.

18. Ivy Panda, Free Study Hub, “Religion and Politics Religious Capacities for Conflict Resolution and Peace building,” MDPI Journals, <https://bit.ly/33jjVBs>. accessed on 15 January 2019

19. JOSEPH R. BIDEN JR. Memorandum on the Partnership for Global Infrastructure and Investment. THE WHITE HOUSE.

<https://www.whitehouse.gov>.

20. Khanna, Parag. Connectography Mapping the Future of Global Civilization. Published in 2016.

21. Lily Kuo and Niko Kommenda, What is China's Belt and Road Initiative? <https://www.theguardian.com/>

22. Mackinder, H.J. Democratic Ideals and Reality, A study in the politics of Reconstruction. National Defense University Press. Published in 1919.

23. Mackinder, H.J. The Geographical Pivot of History. The Geographical Journal, Vol.23, No.4. Published in April 1904.

24. Marcus Hernig: Die Renaissance der Seidenstraße (2018) pp 112. (بالألمانية).

25. NICHOLAS J. SPYKMAN. America's Strategy in World Politics. Published in 1942.

26. NICHOLAS J. SPYKMAN. Geography and Foreign Policy. Published in 1938.

27. NICHOLAS J. SPYKMAN. The Geography of Peace. Published in 1942.

28. Other threats in the Mediterranean Greenpeace International. Greenpeace.org.2010.

29. Roland Czada, Thomas Held and Merkus Weingardt,

“Religions and World Peace Religious Capacities for Conflict Resolution and Peacebuilding,” Baden-Baden – Nomos 2012, <https://bit.ly/36cl-jaM>. accessed on January 2019.

30. Strait of Malacca - World Oil Transit Chokepoints Archived 201422-11- at the Wayback Machin, Energy Information Administration, U.S. Department of Energy.

31. Devetak, Richard, George, Jim, Sarah. An introduction to International relations 1946-Percy. V.1977-(Third ed.). P: 816.

32. The Maritime Silk Road in South-East Asia. Aljazeera.net Archived 201105-06- at the Wayback Machine.

33. VALERIO FABBRI, the new infrastructure programme initiated by the G7 – the PGII – going to successfully counter or end the dominance of China’s Belt and Road Initiative (BRI)? . Published in 302022/08/Is. <https://www.geopolitica.info/>

34. Vidal de la Blanche. Panneau Géographique de la France. Publié en 1908. (بالفرنسية)

35. Why Muslims are the world’s fastest-growing religious group. Pew Research Centre. April 2017.

World Oil Transit Chokepoints. U.S. Energy information Administration. [https://www.eia.gov/international/analysis/special-topics/World\\_Oil\\_Transit\\_Chokepoints](https://www.eia.gov/international/analysis/special-topics/World_Oil_Transit_Chokepoints)

# مركز برائنا للدراسات والبحوث

هو مركز بحثي مستقل غير ربحي، مركزه في بيروت وبغداد. ويهدف لفتح المجالات العلمية والاكاديمية الواسعة، أمام الباحثين والمتخصصين؛ للقيام ببحوث تسعى إلى فهم واقع الإنسان والإنسانية، من خلال التركيز على دراسة الميادين الفلسفية، والاجتماعية، والإنسانية المتنوعة، التي تشكل في مجموعها ذلك الحراك الاجتماعي والانساني الكبير، الحاصل في العالم، وخصوصا في بلادنا العربية والإسلامية؛ ورصد الظواهر والتحديات الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية المختلفة، التي يمكن أن يواجهها الفرد والمجتمع، ومحاولة فهم ومدارسة الأسس الفلسفية والاجتماعية والدينية التأصيلية بموضوعية وجدة، سعياً للوصول إلى حلول لها؛ من أجل السمو بالإنسان وتقدمه في أبعاده الإنسانية المختلفة.



# يحاول

هذا الكتاب معالجة قضية الحكومة العالمية ونهاية التاريخ من زاوية جيوبوليتيكية، حيث يبحث فيه أحد أهم الأسباب الموضوعية اللازمة لتحقيق القضية في العالم الواقعي، وبما أننا نتكلم على دولة ستنتهي التاريخ البشري؛ إذا فلا بد من توفر شروط مميزة وفريدة في الأسس الأولية في هيكل الدولة تميزها عن سابقتها. فما هي أهم المميزات والمقومات الجيوبوليتيكية التي تتميز فيها تلك الدولة المنشودة؟ ولماذا ستنجح في تحقيق النهاية الفعلية للتاريخ البشري، في حين أن أيًا من التجارب السابقة عجزت عن هذا الأمر؟ وما هو أهمية ودور الإنسان الكامل في ضمان الوصول إلى الهدف المرجو؟ وما أهمية النوع الإنساني من الناحية الجيوبوليتيكية؟ وقبل هذا وذاك وبعده، هل أصل الحكومة العالمية حاجة ضرورية للنوع الإنساني؟ ستجد في هذا الكتاب الإجابة عن هذه الإشكالات المطروحة وغيرها.

مركز براثا للدراسات والبحوث  
بيروت - بغداد

Baratha Center for Studies and Research

[www.barathacenter.com](http://www.barathacenter.com)

[barathacenter@gmail.com](mailto:barathacenter@gmail.com)

مدير المركز د. محمد مرتضى

☎ 009613821638